الكَلِمُ الطَّيِّبُ

مجموعة رسائل

السَّيِّدُ العَلَّامَةُ المَنصُورُ الهَاشِمِيُّ الخُرَاسَانِيُّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: الكلم الطّيّب؛ مجموعة رسائل السّيّد العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى
الناشر: مكتب المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى
رقم الطبعة: الخامسة
تاريخ النشر: غرّة شعبان ١٤٤٥هـ
مكان النشر: طالقان؛ أفغانستان

تحذير!

هذا الكتاب وقف على المسلمين، ولا يجوز بيعه شرعًا، ولكن يجوز طبعه ونشره مجّانًا أو بدون ربح، بشرط الإحتفاظ الكامل بمحتواه والحقوق المعنويّة للمؤلّف.

الكلم الطيب

مجموعة رسائل

السّيّد العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى

فهرس الموضوعات

كلمة الناشر ٩

الرسالة الأولى؛ جزء من رسالة جنابه كتبها في بداية دعوته، فنبّه فيها على أنّه يُعرف بما يدعو إليه، لا باسمه وأوصافه. ١١

الرسالة الثانية؛ رسالة من جنابه إلى بعض أصحابه يعظه فيها ويحذّره من حبّ الدّنيا. ١٣

الرسالة الثالثة؛ جزء من رسالة جنابه يحذّر فيها المسلمين من عدم المعرفة، ويدعوهم إلى طلب العلم بالدّين، ومعرفة الحقّ والباطل. ١٨

الرسالة الرابعة؛ جزء آخر من رسالة جنابه يؤكّد فيها على معرفة الحقّ والباطل. ٢٥

الرسالة الخامسة؛ جزء من رسالة جنابه يبيّن فيها ضرورة معيار صحيح للمعرفة ٢٧

الرسالة السادسة؛ رسالة من جنابه يعظ فيها أنصاره. ٢٩

الرسالة السابعة؛ جزء من رسالة جنابه في ذمّ علماء الزمان ٣٣

الرسالة الثامنة؛ جزء من رسالة جنابه فيها ينبّه الناس على غربة الإسلام، ويدعوهم إلى معرفته وإقامته كما هي، ويوبّخهم على التهاون والتبديل فيه. ٣٥

الرسالة التاسعة؛ رسالة من جنابه يشبّه فيها ما يعمل للمهديّ بما عمل مسلم بن عقيل للحسين بن عليّ ٣٧

الرسالة العاشرة؛ رسالة من جنابه كتبها في بداية حركته، فبيّن فيها مقصوده بصراحة. ٣٩

الرسالة الحادية عشرة؛ رسالة من جنابه فيها يأمر بالعدل ويدعو إلى أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم. ٤١

الرسالة الثانية عشرة؛ جزء من رسالة جنابه في ذمّ مدّعي الولاية الشرعيّة من حكّام الجور وأتباعهم ٤٩

الرسالة الثالثة عشرة؛ رسالة من جنابه إلى بعض أصحابه يعظه فيها ويحذّره من رذائل الأخلاق. ٥٥

الرسالة الرابعة عشرة؛ جزء من رسالة جنابه فيها يدعو إلى حكومة اللّه تعالى ويحذّر من حكومة غيره. ٥٧

الرسالة الخامسة عشرة؛ رسالتان من جنابه في أحكام الخمس ٦٤

الرسالة السادسة عشرة؛ رسالة نافعة من جنابه تحتوي على ثلاثين وصيّة أخلاقيّة. ٦٥

الرسالة السابعة عشرة؛ جزء من رسالة جنابه يذكر فيها أهل بومبي، وينذر المتّبعين للشّهوات. ٦٨

الرسالة الثامنة عشرة؛ رسالة من جنابه حول الحداد على أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأحكامه ٧٠

الرسالة التاسعة عشرة؛ جزء من رسالة جنابه يذكر فيها عاقبة الذين من قبل وينذر حكّام البلاد. ٧٢

الرسالة العشرون؛ جزء من رسالة جنابه يذكّر فيها بيوم القيامة ويحذّر من عاقبة الحرص على الدّنيا. ٧٧

الرسالة الحادية والعشرون؛ رسالة من جنابه في أحكام صلاة الميّت ٧٩

الرسالة الثانية والعشرون؛ جزء من رسالة جنابه يصف فيها أحوال النّاس، ويحذّرهم من عاقبة أمرهم. ٨١

الرسالة الثالثة والعشرون؛ جزء من رسالة جنابه إلى بعض أصحابه، يعظه فيها ويخوّفه من اللّه. ٨٣

الرسالة الرابعة والعشرون؛ جزء من رسالة جنابه في توبيخ الذين يرونه يدعو إلى الحقّ ولا يقومون بنصره. ٨٥

الرسالة الخامسة والعشرون؛ جزء من رسالة جنابه إلى بعض أصحابه يعظه فيها ويحذّره من الجليس السوء. ٨٧

الرسالة السادسة والعشرون؛ جزء من رسالة جنابه فيها ينذر باشتداد البلاء، ويبيّن سببه وطريقة منعه. ٨٩

كلمة الناشر

نحمد الله على أن وفّقنا لاتّخاذ خطوة أخرى في طريق نشر تعاليم الإسلام الحقيقيّ وتعريف العالمين بالدّين الخالص في هذا القرن المليء بالفتنة من خلال نشر عمل آخر من الأعمال المنيرة والمحيية لعبده الصالح السيّد العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى.

الكتاب القادم الذي يحمل الإسم القرآنيّ «الْكَلِمُ الطَّيِّبُ»، هو كنز ثمين من الرسائل التي كتبها السيّد العلامة المنصور الهاشميّ الخراسانيّ حفظه الله تعالى لتلاميذه وسائر الناس، وجمعها ودوّنها مكتبه في شكل كتاب، لتكون قرّة عين لطلبة العلم وسببًا لتزكية المسلمين في العالم.

إنّ انسجام وتشابه هذه الكتابات مع كتابات الأنبياء والصدّيقين لا يخفى على أيّ قارئ منصف خبير، وقد نشأ ذلك عن انسجام وتشابه فكر هذا الإنسان العظيم وأخلاقه وروحه مع فكرهم وأخلاقهم وروحهم، ويكشف عن تكوّن شخصيّته بناءً على اتّباعهم التامّ، ويلقي الضوء على أنّه رجل من جنسهم ويسير على خطاهم؛ كما أنّه ليست أقواله ورسائله فقطّ من نوع أقوالهم ورسائلهم، بل إنّ حركته العمليّة أيضًا هي استمرار لحركتهم العمليّة لإقامة الإسلام الحقيقيّ في العالم ومحاربة الظلم والبدع.

من المأمول أن تساعد هذه المجموعة المليئة بالحِكَم والمواعظ في إصلاح عقائد وأعمال مسلمي العالم في هذا القرن المضطرب.

من الجدير بالذكر أنّ هذه المجموعة يتمّ تحديثها من حين لآخر وبالتالي، من المناسب للقرّاء متابعتها واستلام أحدث إصدار منها إن شاء الله.

ندعو جميع الذين يعلمون قيمة هذه المجموعة القيّمة لمساعدتنا على ترجمتها وطباعتها ونشرها بين المسلمين في العالم.

للإتّصال بنا والوصول إلى سائر الأعمال المنشورة، قم بزيارة الموقع: **www.alkhorasani.com**.

والله المستعان
مكتب المنصور الهاشميّ الخراسانيّ
نصف شعبان ١٤٤٢ للهجرة

الرسالة الأولى

جزء من رسالة جنابه كتبها في بداية دعوته، فنبّه فيها على أنّه يُعرف بما يدعو إليه، لا باسمه وأوصافه.

أراد المنصور الهاشميّ الخراسانيّ أن يكتب للناس كتابًا، فيدعوهم فيه إلى الله وخليفته المهديّ، وكان ذلك في بداية أمره، فقيل له: «إنّهم لا يقرؤون كتاب من لا يعرفون، وقد كثرت عليهم الكتب!» فكتب بعد الثّناء على الله والصّلاة على نبيّه:

أَمَّا بَعْدُ؛ يَا مَعْشَرَ الْعُقَلَاءِ! يَا إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِيَ الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ لِي مَعَكُمْ كَلِمَةً. فَهَلْ أَنْتُمْ تَسْتَمِعُونَ لَهَا وَتَعُونَ بِقُلُوبِكُمْ، أَمْ تَسُدُّونَ آذَانَكُمْ وَتَذْهَبُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ؟! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ عَدُوَّ الْإِنْسَانِ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا، لَقَرَأَهُ بِعِنَايَةٍ لِيَعْلَمَ مَاذَا كَتَبَ إِلَيْهِ عَدُوُّهُ، وَأَنَا لَكُمْ وَلِيٌّ مُشْفِقٌ وَأَخٌ نَاصِحٌ، وَأَنَا أَوْلَى بِأَنْ تَعْلَمُوا مَاذَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ. إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَنِي فَإِنِّي أَعْرِفُكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُحِبُّونَنِي فَإِنِّي أُحِبُّكُمْ. فَاسْتَمِعُوا لِقَوْلِي، وَلَا تَسْأَلُوا مَنْ أَنَا؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ يُعْرَفُ بِقَوْلِهِ، وَالْحَكِيمُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْلِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى قَائِلِهِ. كَمْ مِنْ صِدْقٍ يَقُولُهُ صَغِيرٌ، وَكَمْ مِنْ كَذِبٍ يَقُولُهُ الْكِبَارُ! الصِّدْقُ صِدْقٌ وَإِنْ قَالَهُ صَغِيرٌ، وَالْكَذِبُ كَذِبٌ وَإِنْ قَالَهُ الْكِبَارُ. فَإِنْ تَعْرِفُوا قَوْلًا لَا يَضُرُّكُمُ الْجَهْلُ بِقَائِلِهِ، وَإِنْ تَجْهَلُوا قَوْلًا لَا تَنْفَعُكُمْ مَعْرِفَةُ قَائِلِهِ.

فَاسْتَمِعُوا لِقَوْلِي حَتَّى تَعْرِفُونِي؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، وَلَا يُعْرَفُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. إِنَّكُمْ لَمْ تُؤْتَوُا الْأُذُنَ إِلَّا لِتَسْمَعُوا، وَلَمْ تُؤْتَوُا الْعَيْنَ إِلَّا لِتُبْصِرُوا، وَلَمْ تُؤْتَوُا الْعَقْلَ إِلَّا لِمَعْرِفَةِ مَا تَسْمَعُونَ وَتُبْصِرُونَ أَيُّ ذَلِكَ صِدْقٌ وَأَيُّهُ كَذِبٌ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي بِآذَانِكُمْ، ثُمَّ تَدَبَّرُوهُ بِعُقُولِكُمْ، لِتَقْبَلُوهُ إِنْ كَانَ صِدْقًا، وَتَرْفُضُوهُ إِنْ كَانَ كَذِبًا. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَكُمْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ أَنْ لَا تَسْمَعُوا لِكَيْ لَا تَعْرِفُوا، وَلَا تَعْرِفُوا لِكَيْ تَخْسَرُوا، وَهَلِ الْخُسْرَانُ إِلَّا عَقِيبُ الْجَهْلِ؟!

إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِي قَدْ أَكْثَرُوا عَلَيْكُمُ الْقَوْلَ، فَأَضْجَرُوكُمْ؛ لِأَنَّ جُلَّ كَلَامِهِمْ كَانَ كَذِبًا، وَتَكَلَّمُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَكَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ لَا يُرِيدُونَكُمْ إِلَّا لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُكَلِّمُونَكُمْ إِلَّا لِإِضْلَالٍ؛ يَدْعُونَكُمْ إِلَى حَقٍّ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِهِ، وَيُرِيدُونَ لَكُمْ خَيْرًا لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْهُ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الدِّينَ مَسْنَدًا لِلسُّلْطَةِ وَالْآخِرَةَ مَطِيَّةً لِلدُّنْيَا، وَإِلَّا فَلَا الدِّينَ عَرَفُوا حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا الْآخِرَةَ أَرَادُوا حَقَّ إِرَادَتِهَا، وَلَكِنِّي أُكَلِّمُكُمْ وَمَا عِنْدِي أَمَلُ سُلْطَةٍ وَلَا طَمَعُ دُنْيَا. إِنْ أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْكُمْ، أُسْتَضْعَفُ فِي الْأَرْضِ كَمَا تُسْتَضْعَفُونَ، وَلَا أُرِيدُ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا. إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، لِيُسْمِعَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيُصِمَّ مَنْ يَشَاءُ، وَمَا يُدْرِيكُمْ؟! لَعَلَّهُ يُغَيِّرُ أَشْيَاءَ، وَيُظْهِرُ أَشْيَاءَ؛ فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

ثمّ كتب ما أراد.

الرسالة الثانية

رسالة من جنابه إلى بعض أصحابه يعظه فيها ويحذّره من حبّ الدّنيا.

أخبرنا عبد الله بن حبيب، قال: كتب إليّ المنصور الهاشميّ الخراسانيّ في رسالة له، بعد حمد الله والصلاة على النّبيّ وآله:

أَمَّا بَعْدُ، فَاعْلَمْ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَبِيبٍ، أَنَّ الْفَلَاحَ عَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ، وَالتَّقْوَى عُنْوَانُ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَعِبَادَةَ اللَّهِ طَاعَتُهُ، وَطَاعَتَهُ إِتْيَانُ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي بَيَّنَهَا فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ. فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ هُمُ الْمُتَّقُونَ، وَهُمْ أَهْلُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْقَوْلِ الطَّيِّبِ، وَأَهْلُ الْوَرَعِ وَالتَّعَفُّفِ؛ الَّذِينَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، وَقَرَّتْ فِي مَكَانِهَا بِرَجَائِهِ؛ الَّذِينَ جَفَّتْ شِفَاهُهُمْ مِنَ الذِّكْرِ الْكَثِيرِ، وَخَمُصَتْ بُطُونُهُمْ مِنَ الصِّيَامِ الْمُتَتَابِعِ؛ الَّذِينَ تَخَلَّصَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْ فَخِّ الْهَوَى، وَعَلَا وُجُوهَهُمْ غُبَارُ الْخُشُوعِ؛ الَّذِينَ هَذَّبَ قُلُوبَهُمْ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَأَهَانَ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا ذِكْرُ الْآخِرَةِ؛ سَلَبَهُمُ النَّوْمَ هَمُّ التَّكَالِيفِ، وَمَنَعَهُمُ الْأَكْلَ غَمُّ الْحُقُوقِ؛ اسْتَأْنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ النَّاسُ، وَاسْتَوْحَشُوا مِمَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ النَّاسُ؛ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ عَنْ قَرِيبٍ يَرْتَحِلُونَ إِلَى دِيَارٍ أُخْرَى، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَزَوَّدُوا لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ؛ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ طَرِيقًا طَوِيلًا، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ تَخَطِّي عَقَبَاتٍ وَعْرَةٍ؛ طَرِيقًا لَمْ يَرْجِعْ سَالِكُوهُ أَبَدًا، وَعَقَبَاتٍ كَأَنَّهَا ابْتَلَعَتْ مُسَافِرِيهَا.

آهٍ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنَ الْغَدِ! فَإِنَّهُمْ يَبْكُونَ مِنْ فِكْرَةِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ، وَيَسْتَعِدُّونَ لَهَا؛ كَأَنَّهُمْ يَلْفِظُونَ أَنْفَاسَهُمُ الْأَخِيرَةَ، أَوْ كَأَنَّهُمْ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا!

يَا عَبْدَ اللَّهِ! أُولَئِكَ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّنْيَا وَوَزَنُوهَا؛ فَوَجَدُوهَا سِلْعَةً تَافِهَةً وَأَعْرَضُوا عَنْهَا.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! اعْرِفِ الدُّنْيَا كَمَا عَرَفُوهَا؛ لِأَنَّ مَنْ يَعْرِفُ الْبِئْرَ لَا يَرْمِي نَفْسَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَعْرِفُ السَّمَّ لَا يَشْرَبُهُ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنِّي أُعَرِّفُكَ الدُّنْيَا. الدُّنْيَا كَأَنَّهَا امْرَأَةٌ صَدَاقُهَا الْمَوْتُ، أَوْ بَغِيَّةٌ أُجْرَتُهَا الْفَضِيحَةُ. فَلَا تَتَّخِذْهَا زَوْجَةً، وَلَا تُبَاشِرْهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْغَادِرَةَ قَتَلَتْ أَزْوَاجَهَا وَنَهَبَتْ مِيرَاثَهُمْ، وَنَوَّمَتْ عُشَّاقَهَا وَسَرَقَتْ أَمْوَالَهُمْ. فَلَا تَخْلُبَنَّ قَلْبَكَ بِتَبَرُّجِهَا، وَلَا تَخْدَعَنَّكَ بِغُنْجِهَا.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنِّي أُعَرِّفُكَ الدُّنْيَا. الدُّنْيَا كَبِئْرٍ جَافٍّ أَوْ مُلَطَّخٍ بِالنَّجَاسَاتِ؛ فَلَا تُدْلِ دَلْوَكَ فِيهَا، وَلَا تَتَّخِذْهَا مَنْهَلًا.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنِّي أُعَرِّفُكَ الدُّنْيَا. الدُّنْيَا سُلَّمٌ مَنْخُورٌ لَا يُرْكَنُ إِلَيْهِ؛ أَوْ تُشْبِهُ جُحْرَ ثُعْبَانٍ لَمْ يُدْخِلْ أَحَدٌ يَدَهُ فِيهِ إِلَّا لَدَغَهُ؛ أَوْ جِيفَةً تَدْعُو الضِّبَاعَ وَتُجْمِعُ الذُّبَابَ، وَتُنَفِّرُ الْأَسَدَ وَتُقَرِّفُ الْبَشَرَ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! الدُّنْيَا امْرَأَةٌ لَا تَلِدُ، وَشَجَرَةٌ لَا تُثْمِرُ، وَسَحَابَةٌ لَا تُمْطِرُ، وَظِلٌّ لَا يَدُومُ. فَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِمَادَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَيْهَا هُوَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الرِّيحِ، وَمُصَادَقَتُهَا هِيَ مُصَادَقَةُ الذِّئْبِ، وَمَنْ يَقْوَى عَلَى مُصَادَقَةِ الذِّئْبِ؟!

يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِيَّاكَ وَحُبَّ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا خَدَلَتْ أَشَدَّ النَّاسِ حُبًّا لَهَا. فَإِنْ كُنْتَ فِي رَيْبٍ مِنْ ذَلِكَ، فَانْظُرْ إِلَى أَسْلَافِكَ، الَّذِينَ كَانُوا فِي جِوَارِكَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ، وَالْيَوْمَ لَا يُوجَدُ لَهُمْ أَثَرٌ. فَانْظُرْ فِي أَحْوَالِهِمْ، وَاعْتَبِرْ بِعَاقِبَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا آدَمِيِّينَ مِثْلَكَ، فَضَغَطَ رِقَابَهُمُ الْمَوْتُ، وَبَلَعَ أَجْسَادَهُمُ الْقَبْرُ، وَمَحَى آثَارَهُمُ الزَّمَنُ. أَفَحَسِبْتَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَكَ مَا أَصَابَهُمْ؟! كَيْفَ؟! وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَشَدَّ مِنْكَ قُوَّةً أَوْ أَكْثَرَ مَالًا، فَمَا نَفَعَتْهُمْ قُوَّتُهُمْ وَلَا أَمْوَالُهُمْ شَيْئًا، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَقَطُوا فِي هُوَّةِ الْمَوْتِ. فَلَا تُغْفِلَنَّكَ مُعَاشَرَةُ الْأَحْيَاءِ عَنِ الْأَمْوَاتِ، حَتَّى تُنَافِسَهُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ، وَبِنَاءِ الْبُيُوتِ، وَشِرَاءِ الْآلَاتِ، وَاتِّخَاذِ الْأَزْوَاجِ، وَالْخَوْضِ فِي اللَّذَّاتِ؛ لِأَنَّ الْأَحْيَاءَ هُمْ أَمْوَاتُ الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا أَنَّ الْأَمْوَاتَ هُمْ أَحْيَاءُ الْمَاضِي.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! كَمْ مِنْ رُقُودٍ لَمْ يَسْتَيْقِظُوا، وَكَمْ مِنْ ذَاهِبِينَ لَمْ يَعُودُوا، وَكَمْ مِنْ مَرْضَى لَمْ يَبْرَؤُوا! كُلُّ مَنْ يَعِيشُ يَمُوتُ، وَكُلُّ مَنْ يَأْكُلُ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! لَا تَكُنْ غَافِلًا عَنِ الْمَوْتِ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْكَ، وَخُذْ لَهُ أُهْبَتَكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي فِي أَيِّ آنٍ يَأْتِيكَ. دَعْ عَنْكَ الْآمَالَ الطَّوِيلَةَ، وَلَا تَتَّبِعْ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُكَ. لَا تَفْرَحْ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى إِدْبَارِهَا. خُذْ عِنَانَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَسَلِّمْهُ إِلَى خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَقُودُكَ إِلَى النَّارِ، وَخَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَدْعُوكَ إِلَى الْجَنَّةِ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ اللَّهَ لَيْسُوا بِأَنْصَارِ الْمَهْدِيِّ؛ إِنَّما أَنْصَارُهُ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَصَغَائِرَهُ؛ يَقُومُونَ اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ، وَيَقْضُونَ النَّهَارَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ الْآخَرِينَ؛ يُؤْمِنُونَ بِمَوَاعِيدِ اللَّهِ، وَيَخَافُونَ يَوْمَ الْجَزَاءِ؛ الْيَوْمَ الَّذِي يَشْخَصُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ، وَيَجِدُونَ مَا عَمِلُوا حَاضِرًا.

إِنَّ أَنْصَارَ الْمَهْدِيِّ مُتَخَلِّقُونَ بِأَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ، وَمُتَأَدِّبُونَ بِآدَابِ الصِّدِّيقِينَ؛ يَخْضَعُونَ لِلْحَقِّ عِنْدَمَا يَتَبَيَّنُ لَهُمْ، وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْبَاطِلِ عِنْدَمَا يَفْتَضِحُ عِنْدَهُمْ؛ لَيْسُوا بِمُتَعَصِّبِينَ وَلَا مُتَعَنِّتِينَ، وَلَا أَبْذِيَاءَ وَلَا مَهَاذِيرَ؛ لَا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَيُجَانِبُونَ الْمُفْتَرِينَ؛ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فِي وَقْتِ فَضِيلَتِهَا، وَيُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَلَى الْفُقَرَاءِ؛ يَكْظِمُونَ الْغَيْظَ، وَيَتَجَاوَزُونَ عَنْ إِسَاءَةِ النَّاسِ؛ يُحْسِنُونَ بِوَالِدَيْهِمْ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى سُوءِ خُلُقِهِمَا؛ لَا يُهِينُونَ أَصْدِقَاءَهُمْ بِذَرِيعَةِ الصَّدَاقَةِ، وَلَا يَظْلِمُونَ أَعْدَاءَهُمْ بِحُجَّةِ الْعَدَاوَةِ؛ يُدَارُونَ الْجُهَّالَ، وَلَا يُمَارُونَ السُّفَهَاءَ؛ لَيْسُوا بِثَرْثَارِينَ وَلَا ضَحَّاكِينَ وَلَا نَوَّامِينَ وَلَا أَكَّالِينَ؛ يَمْسِكُونَ عِنَانَ شَهْوَتِهِمْ، وَلَا يُهْمِلُونَ جَانِبَ الْعِفَّةِ؛ لَيْسُوا زَائِغِي أَعْيُنٍ وَلَا قَلِيلِي حَيَاءٍ وَلَا مُرَآئِينَ وَلَا هَذَّائِينَ؛ لَا يُوَالُونَ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يُجَالِسُونَ الظَّالِمِينَ؛ يَشْتَغِلُونَ بِالْأَعْمَالِ النَّافِعَةِ، وَلَا يُضِيعُونَ وَقْتَهُمْ؛ يَأْنِسُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَعْرِفُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ؛ لَا يُنْكِرُونَ تَعَالِيمَ الْعَالِمِ وَلَا يُعَادُونَهُ، بَلْ يُجِيبُونَ دَعْوَتَهُ وَيُسَارِعُونَ إِلَى نُصْرَتِهِ، حِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَهْدِيِّ لِيَجْمَعَهُمْ لِنُصْرَتِهِ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَتَحْسَبُ أَنَّ الَّذِينَ يُجِيبُونَ دَعْوَتِي وَيُسَارِعُونَ إِلَى نُصْرَتِي، يَرْجُونَ نَصِيبًا مِنَ الدُّنْيَا؟! كَلَّا؛ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي لَا أَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا لِأُعْطِيَهُمْ مِنْهُ، وَلَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَعِي سِوَى سَهَرِ اللَّيْلِ وَسَعْيِ النَّهَارِ، لَكِنَّهُمْ يَبْتَغُونَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَيَفِرُّونَ مِنْ نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَحِجَارَةُ الْكِبْرِيتِ؛ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَنِي وَيُعِينُونَ أَعْدَائِي، يَرْجُونَ نَصِيبًا مِنَ الْآخِرَةِ؟! كَلَّا؛ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَتَحَيَّزُونَ لِأَرْبَابِ الدُّنْيَا، وَيَخْدِمُونَ الْأَقْوِيَاءَ وَالْأَثْرِيَاءَ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ إِلَّا النَّارَ. فَذَرِ النَّاسَ يَخْتَارُوا طَرِيقَتَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مَجْبُورُونَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ! إِنَّا قَدِ انْطَلَقْنَا الْيَوْمَ لِنُؤَدِّيَ حَقَّ آلِ مُحَمَّدٍ، وَتَاللَّهِ لَنَمْضِيَنَّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا نَخَافُ لَوْمَةَ لَائِمٍ. بُغْيَتُنَا مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ هِيَ التَّمْهِيدُ لِظُهُورِ الْمَهْدِيِّ؛ بُغْيَتُنَا هِيَ أَنْ نُمَكِّنَهُ مِنَ الْمُلْكِ. فَمَنْ رَافَقَنَا الْيَوْمَ كَانَ مَعَنَا غَدًا، وَنَحْنُ غَدًا نَكُونُ مَعَ مَنْ نَتَحَرَّكُ الْيَوْمَ إِلَيْهِ. فَاسْتَبِقُوا -يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ-؛ فَإِنَّكُمْ عِبَادُ اللَّهِ الصَّالِحُونَ؛ الَّذِينَ يُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. اسْتَبِقُوا إِلَى نُصْرَةِ رَجُلٍ يَهْدِيكُمْ إِلَى خَيْرِ السُّبُلِ، وَيَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرِ الْمَنَاهِجِ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَى خَيْرِ الْغَايَاتِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَسْأَلَكُمْ أَجْرًا، أَوْ يَدَّعِيَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا.

أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَكُمُ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَنْصَارِ خَلِيفَتِهِ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيُجِيبُ الدُّعَاءَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

الرسالة الثالثة

جزء من رسالة جنابه يحذّر فيها المسلمين من عدم المعرفة، ويدعوهم إلى طلب العلم بالدّين، ومعرفة الحقّ والباطل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ رَبِّي وَرَبَّ آبَائِيَ الْأَوَّلِينَ، وَرَبَّ السَّمَوَاتِ الْمَرْفُوعَةِ بِغَيْرِ عَمَدٍ مَرْئِيَّةٍ، وَرَبَّ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ وَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ وَالنُّجُومِ الْكَثِيرَةِ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ الرَّحِيبَةِ الَّتِي وُضِعَتْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَأُوثِقَتْ بِأَوْتَادٍ، وَرَبَّ الْمُحِيطَاتِ الْعَمِيقَةِ الْوَاسِعَةِ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهَا وَمَا يَسْبَحُ فِيهَا، وَرَبَّ الْبِحَارِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَمْوَاجِ الصَّاخِبَةِ وَالْجَزَائِرِ الْجَمِيلَةِ وَالسَّوَاحِلِ الرَّمْلِيَّةِ وَالْأَنْهَارِ الَّتِي تَنْصَبُّ فِيهَا، وَرَبَّ الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ ذَاتِ الْقِمَمِ الثَّالِجَةِ وَالْمُنْحَدِرَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالْوُدْيَانِ الْمُظْلِمَةِ وَالْهَاوِيَاتِ الْخَطِيرَةِ وَالصُّخُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ بِشَفَاهَا، وَرَبَّ الْغَابَاتِ الْمُخْضَرَّةِ ذَاتِ الْأَشْجَارِ الْكَثِيفَةِ وَالْأَعْمَاقِ الْمُدْهَامَّةِ وَالدَّوَابِّ الَّتِي تَدُبُّ فِيهَا، وَرَبَّ الصَّحَارِي الْفَسِيحَةِ ذَاتِ السَّاحَةِ الْيَابِسَةِ وَالتُّرْبَةِ الْمُتَآكِلَةِ وَالشُّجَيْرَاتِ الْمَنْسُوفَةِ وَالرِّيَاحِ الرَّمْلِيَّةِ الَّتِي تَهُبُّ عَلَيْهَا، وَرَبَّ السُّحُبِ الْمُمْطِرَةِ وَغَيْرِ الْمُمْطِرَةِ، الَّتِي تَأْتِي مِنَ الْآفَاقِ الْبَعِيدَةِ وَتُظَلِّلُ الْأَرْضَ، وَرَبَّ الرَّبِيعِ، وَهُوَ وِلَادَةُ الطَّبِيعَةِ، وَالصَّيْفِ، وَهُوَ بُلُوغُ الطَّبِيعَةِ، وَالْخَرِيفِ، وَهُوَ شَيْخُوخَةُ الطَّبِيعَةِ، وَالشِّتَاءِ، وَهُوَ مَوْتُ الطَّبِيعَةِ، وَرَبَّ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا سَيَكُونُ!

أَعْبُدُكَ عِبَادَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحْمَدُكَ حَمْدَ الْمَلَائِكَةِ؛ أُسَبِّحُكَ وَأُكَبِّرُكَ وَأَشْكُرُكَ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ إِلَّا أَنْتَ؟! وَبِعَدَدِ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ إِلَّا أَنْتَ؟! وَبِعَدَدِ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ إِلَّا أَنْتَ؟! وَبِعَدَدِ قَطَرَاتِ الْمَطَرِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ قَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَّا أَنْتَ؟! وَبِعَدَدِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ إِلَّا أَنْتَ؟! وَبِعَدَدِ أَنْفَاسِ الْأَحْيَاءِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ أَنْفَاسِ الْأَحْيَاءِ إِلَّا أَنْتَ؟! وَبِعَدَدِ أَطْرَافِ الْعُيُونِ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ أَطْرَافِ الْعُيُونِ إِلَّا أَنْتَ؟! بَلْ لِكُلِّ هَذَا عَدَدٌ مَعْدُودٌ، وَلَكِنِّي أُسَبِّحُكَ وَأُكَبِّرُكَ وَأَشْكُرُكَ بِلَا عَدَدٍ وَلَا نَفَادٍ، عَلَى مِثَالِ نِعَمِكَ، كَمَا يَسْتَحِقُّهُ جَمَالُكَ وَجَلَالُكَ، وَأُوَحِّدُكَ وَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَرِيكًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا -صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ- عَبْدُكَ وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِكَ، أَرْسَلْتَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِتُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خُلَفَاؤُكَ وَخُلَفَاءُ نَبِيِّكَ، أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَجَعَلْتَهُمْ لِلنَّاسِ أَئِمَّةً، لِيَعْرِفُوكَ وَيَعْبُدُوكَ، وَأَنِّي إِلَيْكَ لَرَاجِعٌ.

اهْدِنِي لِمَا تَرْضَى، وَاصْرِفْنِي عَمَّا لَا تَرْضَى، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَأَعْرِضَ عَمَّا تَرْضَى وَأُقْبِلَ عَلَى مَا لَا تَرْضَى، فَأَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. رَبِّ احْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَكَ، وَيُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا، وَانْصُرْنِي عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّكَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَخَيْرُ النَّاصِرِينَ. لَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ، وَعَبَدْتُكَ مُخْلِصًا لَكَ دِينِي، وَاجْتَنَبْتُ الطَّاغُوتَ أَنْ أَعْبُدَهَا، وَاعْتَزَلْتُ أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَ أَوْلِيَائِكَ، لِتُطَهِّرَنِي، وَتُقَرِّبَنِي إِلَيْكَ، وَتُنْعِمَ عَلَيَّ، وَتَتَجَاوَزَ عَمَّا قَدَّمْتُ أَوْ أَخَّرْتُ، وَتُخَلِّصَنِي مِنَ النَّارِ وَتُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، يَوْمَ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ؛ فَإِنَّكَ تَرْحَمُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعَذِّبُ مَنْ تَشَاءُ، وَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

وَأَمَّا بَعْدُ..

يَا إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِيَ الْمُسْلِمُونَ! اعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَوْشَكَتْ عَلَى نِهَايَتِهَا، وَحَانَ آخِرُ الزَّمَانِ، وَبَزَغَ فَجْرُ الْمَوَاعِيدِ. الْآنَ نَعِيشُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي عَصْرٍ قَدْ عَمَّ فِيهِ الْفِتْنَةُ وَالْهَرْجُ جَمِيعَ الْأَرْجَاءِ، وَشَاعَ فِيهِ الظُّلْمُ وَالْفَسَادُ، وَكَثُرَتِ الشُّبْهَةُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ «شُبْهَةً» لِأَنَّهَا تُوقِعُ الْإِنْسَانَ فِي «الْإِشْتِبَاهِ»، وَتَجْعَلُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ «مُشْتَبِهَيْنِ». فَلَوْ كَانَ الْحَقُّ وَاضِحًا لَمْ يَخْفَ عَلَى أَحَدٍ، وَلَوْ كَانَ الْبَاطِلُ سَافِرًا لَافْتَضَحَ عِنْدَ الْجَمِيعِ، لَكِنَّ الْحَقَّ يَتَوَارَى خَلْفَ سُحُبِ الْبَاطِلِ، وَالْبَاطِلَ يَتَقَنَّعُ بِقِنَاعِ الْحَقِّ، وَهُنَالِكَ يَصْعُبُ تَمْيِيزُهُمَا.

لَقَدْ عَلِمَ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ إِنْ يَدْعُكُمْ إِلَى الْبَاطِلِ وَيَأْمُرْكُمْ بِالضَّلَالَةِ صَرَاحَةً، لَا تُجِيبُوا دَعْوَتَهُ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَهُ، وَلِذَلِكَ عَنِ الْيَمِينِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْهِدَايَةِ، وَعَنِ الشِّمَالِ يُزَيِّنُ لَكُمُ الْبَاطِلَ حَتَّى تَرَوْهُ حَقًّا، وَيُسَوِّلُ لَكُمُ الضَّلَالَةَ حَتَّى تَحْسَبُوهَا هِدَايَةً! هُنَالِكَ تُجِيبُونَ دَعْوَتَهُ وَتُطِيعُونَ أَمْرَهُ، فَتَقَعُونَ فِي الْبَاطِلِ شَوْقًا إِلَى الْحَقِّ، وَتَخْضَعُونَ لِلضَّلَالَةِ بِاسْمِ الْهِدَايَةِ، وَعَصْرُنَا طَافِحٌ بِهَذِهِ الشُّبُهَاتِ؛ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَغْوَتْ شَبَابَكُمْ وَأَتَاهَتْ شُيُوخَكُمْ؛ الشُّبُهَاتِ الَّتِي عَسَّرَتْ عَلَيْكُمُ الْعِيشَةَ وَأَذْهَبَتْ مِنْ مَوَائِدِكُمُ الْبَرَكَةَ؛ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَضْعَفَتْ عُقُولَكُمْ وَأَقْسَتْ قُلُوبَكُمْ؛ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَعْمَتْ أَبْصَارَكُمْ لِكَيْ لَا تَرَوْا، وَأَصَمَّتْ آذَانَكُمْ لِكَيْ لَا تَسْمَعُوا، وَسَدَّتْ أَفْوَاهَكُمْ لِكَيْ لَا تَتَكَلَّمُوا!

كَمْ مِنْ بَاطِلٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهُ حَقًّا، وَكَمْ مِنْ حَقٍّ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهُ بَاطِلًا! كَمْ مِنْ ضَلَالَةٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهَا هِدَايَةً، وَكَمْ مِنْ هِدَايَةٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهَا ضَلَالَةً! كَمْ مِنْ كَذِبٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهُ صِدْقًا، وَكَمْ مِنْ صِدْقٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهُ كَذِبًا! كَمْ مِنْ خَطَإٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهُ صَحِيحًا، وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهُ خَطَأً!

كَمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهَا حَسَنَةً، وَكَمْ مِنْ حَسَنَةٍ فِي عَصْرِنَا تَحْسَبُونَهَا سَيِّئَةً! فِي حِينٍ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْهَيِّنِ عَدَمُ مَعْرِفَتِكُمْ بِالْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْهِدَايَةِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَالصَّحِيحِ مِنَ الْخَطَإِ، وَالْحَسَنَةِ مِنَ السَّيِّئَةِ، بَلْ لَهُ عُقُوبَةٌ عَظِيمَةٌ وَعَوَاقِبُ وَخِيمَةٌ، وَقَدْ يَنْتَهِي إِلَى مُصِيبَةٍ مُنْهِكَةٍ وَشَقَاوَةٍ أَبَدِيَّةٍ!

انْظُرُوا مَاذَا يُصِيبُكُمْ إِنْ لَمْ تَعْرِفُوا الْعَدُوَّ مِنَ الصَّدِيقِ، أَوِ الذِّئْبَ مِنَ الضَّأْنِ، أَوِ الْمُوسَى مِنَ الْقُطْنِ، أَوِ السَّمَّ مِنَ الدَّوَاءِ؟! فَإِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ بِمَنْزِلَةِ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، وَالْهِدَايَةَ وَالضَّلَالَةَ بِمَنْزِلَةِ الضَّأْنِ وَالذِّئْبِ، وَالصِّدْقَ وَالْكَذِبَ بِمَنْزِلَةِ الْقُطْنِ وَالْمُوسَى، وَالصَّحِيحَ وَالْخَطَأَ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ وَالسَّمِّ، إِنْ لَمْ تَعْرِفُوا أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرَ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ! هُنَالِكَ يُصْبِحُ جَهْلُ الْإِنْسَانِ أَعْدَى عَدُوِّهِ، وَغَفْلَتُهُ آفَةَ حَيَاتِهِ! لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ عَدَوٌّ أَعْدَى مِنْ جَهْلِهِ، وَلَا شَيْءَ أَضَرُّ بِالْآدَمِيِّ مِنْ غَفْلَتِهِ! مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَاحْذَرُوا مِنْ جَهْلِكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْعَدُوِّ، وَاخْشَوْا مِنْ غَفْلَتِكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الذِّئْبِ، وَتَحَرَّزُوا مِنْ غَبَاوَتِكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْمُوسَى، وَتَوَقَّوْا مِنْ سَهْوِكُمْ أَكْثَرَ مِنَ السَّمِّ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ وَالذِّئْبَ وَالْمُوسَى وَالسَّمَّ أَجْسَامٌ تَضُرُّ أَجْسَامَكُمْ، وَالْجَهْلَ وَالْغَفْلَةَ وَالْغَبَاوَةَ وَالسَّهْوَ أَرْوَاحٌ تُهْلِكُ أَرْوَاحَكُمْ!

فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ خَاضُوا فِي عِيشَتِهِمْ، وَاعْتَادُوا عَلَى خَوْضِهِمْ، وَتَأَصَّلُوا فِي اعْتِيَادِهِمْ، وَاسْتَغْلَظُوا فِي تَأَصُّلِهِمْ، وَلَا يَعْرِفُونَ أَيًّا مِنْ أَيٍّ! يَا إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِيَ الرُّقُودُ! أَفِيقُوا، وَاسْتَيْقِظُوا، وَقُومُوا! فَوَاللَّهِ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ «الْمَعْرِفَةِ»، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُكُمْ إِلَّا «بِالْعِلْمِ». الْآنَ يَدْعُوكُمُ الْمَعْرِفَةُ كَمَلَكٍ، وَيُنَادِيكُمُ الْعِلْمُ كَنَبِيٍّ، صَائِحًا فِي أَسْوَاقِكُمْ، وَهَاتِفًا عَلَى سُطُوحِ بُيُوتِكُمْ، أَنْ «يَا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ! قَدْ أَدْبَرَ لَيْلُ الْغَفْلَةِ، وَطَلَعَ فَجْرُ الْمَعْرِفَةِ.

فَالْآنَ اسْتَيْقِظُوا، وَسَارِعُوا إِلَيَّ، وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ عَنِّي شَيْءٌ؛ لِأَنِّي أَكْثَرُ ضَرُورَةً لَكُمْ مِنْ قُوتِ يَوْمِكُمْ، وَأَكْثَرُ نَفْعًا لَكُمْ مِنْ مَكَاسِبِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ. أَنَا الْوَحِيدُ الَّذِي يَبْقَى مَعَكُمْ، وَلَا يُفَارِقُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ تَفْنَى، وَأَزْوَاجَكُمْ تَمُوتُ، وَأَوْلَادَكُمْ تَفْتَرِقُ، وَلَكِنِّي لَا أَفْنَى وَلَا أَمُوتُ وَلَا أُفَارِقُكُمْ أَبَدًا، بَلْ أَحْفَظُكُمْ كَمَا أَحْفَظُ نَفْسِي، وَأُوصِلُكُمْ مَعِي إِلَى الْخُلُودِ. إِنْ كُنْتُ مَعَكُمْ لَمْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مَعَكُمْ لَمْ يَنْفَعْكُمْ شَيْءٌ. فَأَيُّ صَادٍّ يَصُدُّكُمْ عَنِّي، وَأَيُّ مُغْنٍ يُغْنِيكُمْ عَنِّي؟!»، هَكَذَا يَدْعُوكُمُ الْمَعْرِفَةُ إِلَى نَفْسِهَا، وَيُنَادِيكُمُ الْعِلْمُ إِلَى نَفْسِهِ. فَأَجِيبُوا دَعْوَةَ الْمَعْرِفَةِ، وَاسْمَعُوا نِدَاءَ الْعِلْمِ. قُومُوا لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَاهْتَمُّوا بِتَعَلُّمِ الصَّحِيحِ مِنَ الْخَطَإِ؛ وَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟! وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قِوَامُ إِنْسَانِيَّتِكُمْ، وَتَعَلُّمُ الصَّحِيحِ وَالْخَطَإِ أَسَاسُ شَخْصِيَّتِكُمْ. كَيْفَ يُسَمِّي نَفْسَهُ إِنْسَانًا مَنْ يُبْغِضُ الْمَعْرِفَةَ؟! وَلِمَ لَا يُسَمِّي نَفْسَهُ فَرَسًا مَنْ هُوَ بَعِيدٌ مِنَ الْعِلْمِ؟! عِلْمُ الْإِنْسَانِ عِمَادُ شَرَفِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ سَبَبُ عِزَّتِهِ. لَا أَعْنِي بِالْمَعْرِفَةِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْهَنْدَسَةَ وَمَا شَابَهَهُمَا، وَلَا أُرِيدُ بِالْعِلْمِ الْفِقْهَ وَالْأُصُولَ وَالْمَنْطِقَ وَالْفَلْسَفَةَ! هَذِهِ كُلُّهَا فَضْلٌ قَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ فِتْنَةً، وَلَا تَقُومُ عَلَيْهَا إِنْسَانِيَّتُكُمْ! إِنَّمَا أُرِيدُ بِالْعِلْمِ تَمْيِيزَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَأَعْنِي بِالْمَعْرِفَةِ تَشْخِيصَ الْهِدَايَةِ مِنَ الضَّلَالَةِ. كَمْ مِنْ فَقِيهٍ وَفَيْلَسُوفٍ قَدْ أُدْخِلَ النَّارَ، وَكَمْ مِنْ طَبِيبٍ وَمُهَنْدِسٍ لَمْ يَنَالِ الْفَلَاحَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَمْ يَعْلَمِ الْهِدَايَةَ مِنَ الضَّلَالَةِ!

أَلَا يَا طُلَّابَ الْجَامِعَاتِ وَالْمَدَارِسِ الدِّينِيَّةِ! أَرَاكُمْ خَائِضِينَ فِي دُرُوسِكُمْ وَبُحُوثِكُمْ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ! الْيَوْمَ هَذِهِ الدُّرُوسُ وَهَذِهِ الْبُحُوثُ فِتْنَةٌ لَكُمْ!

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمُجْتَهِدُونَ وَالْمُقَلِّدُونَ! أَرَاكُمْ خَائِضِينَ فِي اجْتِهَادِكُمْ وَتَقْلِيدِكُمْ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ! الْيَوْمَ هَذَا الْإِجْتِهَادُ وَهَذَا التَّقْلِيدُ فِتْنَةٌ لَكُمْ!

أَلَا يَا أَيُّهَا الْخُطَبَاءُ وَأَصْحَابُ الْمَنَابِرِ! أَرَاكُمْ خَائِضِينَ فِي خُطَبِكُمْ وَمَنَابِرِكُمْ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ! الْيَوْمَ هَذِهِ الْخُطَبُ وَهَذِهِ الْمَنَابِرُ فِتْنَةٌ لَكُمْ!

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمُوَظَّفُونَ وَالْكَسَبَةُ! أَرَاكُمْ خَائِضِينَ فِي وَظِيفَتِكُمْ وَكَسْبِكُمْ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ! الْيَوْمَ هَذِهِ الْوَظِيفَةُ وَهَذَا الْكَسْبُ فِتْنَةٌ لَكُمْ!

أَلَا يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! أَيْنَمَا أَنْظُرْ أَجِدْكُمْ غَارِقِينَ فِي مَعَايِشِكُمْ، وَمُسْتَتِرِينَ فِي بُيُوتِكُمْ! لَقَدْ أَهَمَّتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ، وَلَا عِلْمَ لَكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ! أَدْمَنْتُمْ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ لِحَيَاتِكُمْ، وَارْتَبَكْتُمْ فِي مُسْتَنْقَعِ تَعَلُّقَاتِكُمْ! لَمْ تَعُودُوا تُبَالُونَ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَمْ تَعُودُوا تَسْأَلُونَ عَنْ تَعَلُّمِ الصَّحِيحِ وَالْخَطَإِ! لَقَدْ تَسَاوَى عِنْدَكُمُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَكُمْ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالْخَطَإِ! لَقَدْ أَرَحْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْقَضَايَا، وَبَالُكُمْ مَشْغُولٌ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ! عَمَلُ الْخَارِجِ أَلْهَاكُمْ عَنْ عَمَلِ الدَّاخِلِ، وَطَلَبُ الْمَالِ وَالدَّرَجَةِ أَلْهَاكُمْ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ. تَقُولُونَ: «إِنَّ مَشَاكِلَ الْحَيَاةِ تَصُدُّنَا عَنِ الْمَعْرِفَةِ، وَنَوَائِبَ الدُّنْيَا تَمْنَعُنَا مِنَ الْعِلْمِ»! مَعَ أَنَّ عَدَمَ الْمَعْرِفَةِ قَدْ خَلَقَ لَكُمُ الْمَشَاكِلَ، وَعَدَمَ الْعِلْمِ قَدْ سَبَّبَ لَكُمُ النَّوَائِبَ! مَا مِنْ مُشْكِلَةٍ إِلَّا وَقَدِ انْبَعَثَتْ مِنْ جَهْلِكُمْ، وَمَا مِنْ نَائِبَةٍ إِلَّا وَقَدْ تَوَلَّدَتْ مِنْ غَفْلَتِكُمْ!

الْمَعْرِفَةُ تَنْصُرُ صَاحِبَهَا، وَالْعِلْمُ يُنْجِي صَدِيقَهُ. هَذَانِ لَكُمْ كَالْمَاءِ لِلْعَطْشَانِ، وَالطَّعَامِ لِلْجَائِعِ، وَالدَّلِيلِ لِلتَّائِهِ، وَالْأَنِيسِ لِلْوَحِيدِ. هَذَانِ ظَهِيرٌ لَكُمْ، وَعَصًا لِأَيْدِيكُمْ. هَذَانِ دَوَاءٌ لِأَدْوَائِكُمْ، وَبَلْسَمٌ لِجُرُوحِكُمْ.

هَذَانِ مِفْتَاحٌ لِأَبْوَابِكُمُ الْمُغْلَقَةِ، وَبَوَّابَةٌ إِلَى سَعَادَتِكُمْ. هَذَانِ رَأْسُ مَالِكُمْ فِي يَوْمِ حَاجَتِكُمْ، وَمُغِيثُكُمْ فِي يَوْمِ مَسْكَنَتِكُمْ. هَذَانِ لَكُمْ قَادَةٌ لَا يُضِلُّونَ، وَحُكَّامٌ لَا يَظْلِمُونَ. هَذَانِ لَكُمْ بُيُوتٌ لَا تَنْهَارُ، وَأَرَاضٍ دَائِمَةُ الْخَضَارِ. هَذَانِ لَكُمْ أَمْوَالٌ لَا تُسْرَقُ، وَعُمَّالٌ لَا تَنِي. هَذَانِ لَكُمْ أَزْوَاجٌ لَا تُفَارِقُ، وَأَوْلَادٌ لَا تَجْفُو. هَذَانِ لَكُمْ أَصْدِقَاءُ لَنْ يَخُونُوا، وَرُفَقَاءُ لَنْ يَخْذُلُوا. فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِمَا، وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ عَنْهُمَا شَيْءٌ. اعْرِفُوا الصِّدْقَ مِنَ الْكَذِبِ، وَالصَّحِيحَ مِنَ الْخَطَإِ؛ فَإِنَّ عَدَمَ الْمَعْرِفَةِ سَارِقُ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَعَدَمَ التَّمْيِيزِ سَبَبُ نَدَامَتِكُمْ.

أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: الْجَهْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ ذَنْبٌ لَا يُغْتَفَرُ وَخَطَأٌ لَا يُتَدَارَكُ. فِي هَذَا الزَّمَانِ، إِنْ لَا تَعْرِفُوا الْحَقَّ تُخْدَعُوا، وَإِنْ لَا تَمِيزُوا الْهِدَايَةَ تُغَرَّوا؛ إِنَّ شَيَاطِينَ الْجِنِّ يَبِيعُونَكُمُ الْبَاطِلَ بَدَلًا مِنَ الْحَقِّ، وَشَيَاطِينَ الْإِنْسِ يُطْعِمُونَكُمُ الضَّلَالَةَ بِاسْمِ الْهِدَايَةِ. لَا يَزَالُ يُوجَدُ مُنْتَهِزُونَ يَنْتَهِزُونَ جَهْلَكُمْ وَيَسْتَغِلُّونَ غَفْلَتَكُمْ، لِيَتَسَبَّبُوا بِكُمْ إِلَى السُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ، فَيَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ. فَلَوْ كُنْتُمْ وَاعِينَ لَمْ يَتَسَلَّطُوا عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُنْتُمْ فَاطِنِينَ لَمْ يَتَغَلَّبُوا عَلَيْكُمْ. أَلَيْسَ يَقْصُدُ السَّارِقُ الْبَيْتَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَيَقَعُ السَّمَكُ فِي الشَّبَكَةِ فِي الْمَاءِ الْعَكِرِ؟! كُونُوا عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تَظِلُّوا جَاهِلِينَ وَغَافِلِينَ بَعْدَ هَذَا. بَادِرُوا إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَاسْعَوْا لِتَشْخِيصِ الْهِدَايَةِ مِنَ الضَّلَالَةِ، قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكُمُ الْأَوَانُ...

أَلَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ عَاقِلٌ يَتَلَقَّى حِكْمَتِي، وَامْرَأَةٌ فَاهِمَةٌ تَقْبَلُ نَصِيحَتِي؟! أَيْنَ فُطُنُكُمْ لِيَفْقَهُوا قَوْلِي، وَمَنْ وُعَاتُكُمْ لِيُجِيبُوا دَعْوَتِي؟! طُوبَى لِلَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ؛ لِأَنَّهُمْ سَيُفْلِحُونَ، وَتَعْسًا لِلَّذِينَ يَتَمَادَوْنَ فِي الْجَهَالَةِ؛ لِأَنَّهُمْ سَيَشْقَوْنَ...

الرسالة الرابعة

جزء آخر من رسالة جنابه يؤكّد فيها على معرفة الحقّ والباطل.

أَنَا لَكُمْ أَخٌ نَاصِحٌ؛ آمُرُكُمْ بِتَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ لِكَيْ لَا تَهْلِكُوا، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ لِكَيْ لَا تَبْقَوْا فِي خُسْرٍ؛ فَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي خُسْرٍ؛ كَمَا قَالَ رَبُّكُمْ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[1]، وَخَلَاصُكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَرْهُونٌ بِخَصْلَتَيْنِ، كَمَا أَنَّ طَيْرَ الطَّائِرِ مَرْهُونٌ بِجَنَاحَيْنِ، وَهُمَا الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ كَمَا قَالَ رَبُّكُمْ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[2].

أَمَّا الْإِيمَانُ فَهُوَ الْإِعْتِقَادُ بِالْحَقِّ، وَتَرْكُ الْإِعْتِقَادِ بِالْبَاطِلِ، وَلَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَيْهِمَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَمَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَهُوَ إِتْيَانُ مَا يَسْتَلْزِمُهُ الْحَقُّ، وَاجْتِنَابُ مَا يَسْتَلْزِمُهُ الْبَاطِلُ، وَلَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَيْهِمَا أَيْضًا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. فَلَا جَرَمَ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ رُكْنُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَبْدَؤُهُمَا. مَثَلُ الْمَعْرِفَةِ مِنْهُمَا كَمَثَلِ الْأَسَاسِ مِنَ الْبِنَاءِ، وَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَالصَّلَاةِ مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ. أَفَيَبْقَى الْبِنَاءُ قَائِمًا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَسَاسٌ؟! أَوْ يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِجَوَارِحِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْسٌ؟! أَوْ يُقْبَلُ مِنْهُ حَجُّهُ وَصَوْمُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَاةٌ؟! كَذَلِكَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَعْرِفَةٌ.

---

١. العصر/ ٢
٢. العصر/ ٣

أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا مَاتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَوْ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَا لِجَمِيعِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَدَخَلَ النَّارَ. مِنْ هُنَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْحَقَّ وَأَهْلَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ، وَتُقَدِّمُوا هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ بِدُونِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ لَا يَقُومُ لَكُمْ إِيمَانٌ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ صَلَاةٌ وَلَا صَوْمٌ وَلَا حَجٌّ وَلَا زَكَاةٌ، وَلَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

الرسالة الخامسة

جزء من رسالة جنابه يبيّن فيها ضرورة معيار صحيح للمعرفة

أَلَا يَحْتَاجُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الذَّهَبَ الْأَصْلِيَّ مِنَ الْمُزَيَّفِ إِلَى مِحَكٍّ مُسْتَقِيمٍ لِيُمَيِّزَ بِهِ؟! أَوْ لَا يَحْتَاجُ مَنْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَالْمَضَلَّةِ إِلَى دَلِيلٍ عَارِفٍ بِالطَّرِيقِ لِيَدُلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ؟! أَوْ لَا يَحْتَاجُ مَنْ حُبِسَ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ إِلَى شَمْعَةٍ مُضِيئَةٍ لِتُضِيءَ مَا حَوْلَهُ؟! أَوْ لَا يَحْتَاجُ مَنْ فَقَدَ بَصَرَهُ إِلَى قَائِدٍ بَصِيرٍ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ؟! أَوْ لَا يَحْتَاجُ مَنْ يَغْرَقُ إِلَى مُسْتَمْسَكٍ وَثِيقٍ لِيَتَمَسَّكَ بِهِ؟! أَوْ هَلْ يُوجَدُ عَاقِلٌ يَقْتَحِمُ الْبَحْرَ بِدُونِ زَوْرَقٍ؟! أَوْ هَلْ يُوجَدُ أَعْمَى يَرْحَلُ الْبِلَادَ بِدُونِ مُرَافِقٍ؟! كَذَلِكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَحْتَاجُ إِلَى مِعْيَارٍ لِيُمَيِّزَ بِهِ، وَمَنْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْهِدَايَةِ وَالضَّلَالَةِ يَحْتَاجُ إِلَى هَادٍ لِيُوقِفَهُ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَمَنْ حُبِسَ فِي ظُلْمَةِ الشُّبُهَاتِ يَحْتَاجُ إِلَى شَمْعَةٍ لِتُضِيءَ لَهُ، وَمَنْ عَمِيَ عَنِ الصَّوَابِ وَالْخَطَإِ يَحْتَاجُ إِلَى قَائِدٍ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ، وَمَنْ يَغْرَقُ فِي بَحْرِ الْجَهْلِ يَحْتَاجُ إِلَى مُسْتَمْسَكٍ لِيَتَمَسَّكَ بِهِ. لَا يُمْكِنُ الْمَعْرِفَةُ بِدُونِ مِعْيَارٍ، وَلَا الْهِدَايَةُ بِدُونِ هَادٍ، وَلَا الرُّؤْيَةُ بِدُونِ ضِيَاءٍ، وَلَا رِحْلَةُ الْأَعْمَى بِدُونِ مُرَافِقٍ، وَلَا نَجَاةُ الْغَرِيقِ بِدُونِ مُسْتَمْسَكٍ، وَلَا عُبُورُ الْبَحْرِ بِدُونِ زَوْرَقٍ.

شرح الرسالة:

هذا المعيار، والدليل، والضياء، والمُرافق، والمستمسك، والزورق، الذي يحتاجه الإنسان لإنقاذ نفسه، هو العقل السّليم من الجهل، والتقليد، والأهواء، والدّنيويّة، والتعصّب، والتكبّر، والخرافات؛ فلا يمكن التمييز بين الحقّ والباطل، والنور والظلمة، والهداية والضلالة، والصواب والخطأ، إلّا بواسطته، وعلامته أنّه يأمر باتّباع كتاب اللّه وخليفته الذي أذهب عنه الرّجس وطهّره تطهيرًا، وينهي عن اتّباع القياس وخبر الواحد وكلّ ما لا يفيد إلّا الظنّ.

لمزيد المعرفة عن ذلك، راجع: كتاب «العودة إلى الإسلام».

الرسالة السادسة

رسالة من جنابه يعظ فيها أنصاره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِ الْهَاشِمِيِّ الْخُرَاسَانِيِّ إِلَى الْعِصَابَةِ الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُ، وَأَمَّا بَعْدُ..

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ الَّذِي هَدَاكُمْ فِي ذُرْوَةِ الضَّلَالَةِ، وَذَلَّكُمْ فِي حَضِيضِ الْحَيْرَةِ، وَأَعَزَّكُمْ فِي خِضَمِّ الذِّلَّةِ، وَعَلَّمَكُمْ فِي حِصَارِ الْجَهَالَةِ، وَسَلَكَ بِكُمْ سَبِيلًا لَا عِوَجَ لِاسْتِوَائِهِ وَلَا وَعْرَ لِسُهُولَتِهِ، وَالنَّاسُ يَخْتَرِقُونَ مِنْ حَوْلِكُمْ، وَيَدْخُلُونَ الظُّلْمَةَ أَفْوَاجًا. فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ، وَاشْكُرُوهُ بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ، عَسَى أَنْ يَجْعَلَكُمْ صَالِحِينَ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ.

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! انْظُرُوا فِي سِيرَةِ الْأَوَّلِينَ، وَاعْتَبِرُوا بِعَاقِبَتِهِمْ؛ الَّذِينَ نَسُوا أَيَّامَ اللَّهِ وَكَفَرُوا بِآلَائِهِ، فَهَوَى سَيْفُ الشَّقَاءِ عَلَى رِقَابِهِمْ، وَوَقَعَ سَهْمُ الرَّدَى عَلَى صُدُورِهِمْ، فَدُمِّرُوا تَدْمِيرًا كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا قَطُّ فِي الْعَالَمِ! الْآنَ قَدْ سَكَنْتُمْ فِي أَرَاضِيهِمْ، وَبَنَيْتُمُ الْبُيُوتَ عَلَى أَطْلَالِهِمْ، فَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا سُنَنَهُمْ، فَيُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فَتُصْبِحُونَ عِبْرَةً لِلَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، كَمَا هُمْ أَصْبَحُوا عِبْرَةً لَكُمْ!

أَحَسِبَ الَّذِينَ بَلَغَهُمْ نِدَاؤُنَا مِنْكُمْ وَادَّعَوْا إِجَابَتَهُ، أَنَّهُمْ يُتْرَكُونَ لِمُجَرَّدِ ادِّعَائِهِمْ وَلَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا؟! كَلَّا، إِنَّهُمْ يُفْتَنُونَ حَتَّى يُعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا مِنْهُمْ وَيُعْلَمَ الْكَاذِبُونَ؛ فَقَدْ كَثُرَ الْقَوْلُ وَقَلَّ الْعَمَلُ. فَلَا يَتَوَهَّمَنَّ مُتَوَهِّمٌ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى خِدَاعِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَدَعَ أَكْبَرَ الْخَدَّاعِينَ وَاسْتَهْزَأَ بِهِمْ، حِينَ ظَنُّوا أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ نِيَّاتِهِمْ وَجَاهِلٌ بِأَغْرَاضِهِمْ!

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! لَا تَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِنُصْرَتِكُمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى نُصْرَتِكُمْ، بَلْ أَنْتُمُ الْمُحْتَاجُونَ إِلَى نُصْرَتِهِ. أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ إِنْ شَاءَ خَلَقَ مِنَ الْحَصَى وَالرِّمَالِ أَنْصَارًا لِنَفْسِهِ؟! فَاصْدِقُوهُ وَاخْلِصُوا لَهُ؛ فَإِنَّ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَجِلُونَ مِنْ هَيْبَتِهِ!

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! أَنْبِئُونِي عَنْ زُهُورِ الْأَرْضِ، هَلْ تَنْمُو إِذَا غَشِيَهَا الْأَشْوَاكُ وَالْأَعْشَابُ الضَّارَّةُ؟! كَذَلِكَ أَنْتُمْ لَا تَنْمُونَ مَا دُمْتُمْ مُبْتَلِينَ بِالنَّزَوَاتِ وَالتَّعَلُّقَاتِ؛ لِأَنَّهَا تُوهِنُ قُوَّتَكُمْ، وَتُضِيعُ وَقْتَكُمْ.

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! كَمَا لَا يُسْكَبُ اللَّبَنُ فِي الْأَوْعِيَةِ الْقَذِرَةِ، لَا تُوضَعُ الْمَعْرِفَةُ فِي الْقُلُوبِ الْمُلَوَّثَةِ، وَكَمَا لَا يُلْقَى الْجَوْهَرُ فِي مَلْقَى الزُّبَالَةِ، لَا تُودَعُ الْحِكْمَةُ فِي الصُّدُورِ الْمُدَنَّسَةِ؛ لِيَحْصُلَ الَّذِينَ نَبَذُوا الْفِكْرَ السَّيِّءَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، وَيَصِلَ الَّذِينَ طَرَدُوا الشَّكَّ مِنْ صُدُورِهِمْ إِلَى الْحِكْمَةِ، وَيَبْقَى الَّذِينَ لَدَيْهِمْ شُكُوكٌ وَأَفْكَارٌ سَيِّئَةٌ فِي الْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ.

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! اسْتَمِعُوا لِقَوْلِي لِتَكْسِبُوا الْمَعْرِفَةَ، وَتَدَبَّرُوا فِيهِ لِتُؤْتَوُا الْحِكْمَةَ؛ فَإِنِّي أُرَبِّيكُمْ بِهِ كَمَا يُرَبِّي الْبُسْتَانِيُّ أَشْجَارَ الْفَاكِهَةِ، حَتَّى أَجْعَلَكُمْ جَمْعًا كَافِيًا لِخَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. إِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ، وَلَمْ تُخْلَقُوا لِلدُّنْيَا؛ فَاعْمَلُوا لِلْآخِرَةِ، وَلَا تَعَلَّقُوا بِالدُّنْيَا. إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَاكِبِ الْبَحْرِ، إِذْ حَطَمَ الطُّوفَانُ سَفِينَتَهُ؛ فَتَعَلَّقَ بِخَشَبَةٍ، حَتَّى نُبِذَ بِجَزِيرَةٍ مَجْهُولَةٍ.

فَلَمَّا اسْتَعَادَ وَعْيَهُ وَسَارَ فِيهَا، عَلِمَ أَنَّ الْجَزِيرَةَ غَيْرُ مَسْكُونَةٍ، وَفِيهَا وُحُوشٌ ضَارِيَةٌ، وَلَا يُوجَدُ فِيهَا الْمَاءُ وَالْغِذَاءُ إِلَّا نَزْرًا. أَتَرَوْنَهُ يَخْلُدُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَيَتَلَهَّى بِتَشْيِيدِ الصُّرُوحِ كَأَنَّهُ سَيَبْقَى فِيهَا أَبَدًا، أَمْ يَكْتَفِي بِاتِّخَاذِ مَأْوًى وَيَشْتَغِلُ بِصُنْعِ السَّفِينَةِ وَجَمْعِ الزَّادِ لِيُنْجِيَ نَفْسَهُ؟!

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! إِنَّا نَعِيشُ فِي زَمَانٍ قَدْ كَثُرَتْ فِيهِ زِينَةُ الدُّنْيَا وَعَمَّتْ فِيهِ الْفِتْنَةُ وَالْبَلْوَى. لَقَدْ نَسِيَ النَّاسُ اللَّهَ وَنَسِيَهُمْ. فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ الْكَلِبِ، إِنَّمَا يُغَيِّرُ الدُّنْيَا الَّذِينَ لَمْ تُغَيِّرْهُمُ الدُّنْيَا.

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! إِذَا انْشَغَلَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، فَانْشَغِلُوا أَنْتُمْ بِالْآخِرَةِ لِتَمْتَازُوا عَنْهُمْ. لَا تَحْزَنُوا عَلَى الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَحْزَنُ عَلَيْكُمْ. دَعُوهَا لِتَكُونَ مَرْعَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْبَهِيمِيَّةِ. هُمْ لَهَا وَهِيَ لَهُمْ. مَثَلُهُمْ فِيهَا كَمَثَلِ طِفْلٍ يَلْعَبُ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَيَبْنِي لِنَفْسِهِ مِنَ الرِّمَالِ صُرُوحًا وَيَحْسَبُ أَنَّهَا سَتَبْقَى، فَيَأْتِيهَا مَوْجٌ بَغْتَةً وَيَهْدِمُهَا جَمِيعًا، فَيَأْسِفُ الطِّفْلُ وَيَنْظُرُ إِلَى الرِّمَالِ بِحَسْرَةٍ، كَمْ تَجَشَّمَ الْعَنَاءَ هَدَرًا!

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! أَمَا تَعْجَبُونَ مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَلِيًّا، وَاسْتَأْنَسُوا بِهِ، وَلَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَى فِرَاقِهِ؟! اعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَا يَشْغَلُكُمْ مَا خَلَا اللَّهَ شَيْطَانٌ. كَذَلِكَ أَضْرِبُ لَكُمُ الْأَمْثَالَ لِتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعْمَلُوا بِهِ، لَا لِتَفْرَحُوا بِهِ أَوْ تَسْتَعْلُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ، كَالَّذِينَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا، لِيُسَيْطِرُوا بِهِ عَلَى الْجُهَّالِ، وَلِيَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ؛ وَلَكِنْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتَعْمَلُوا بِهِ، وَعَلِّمُوهُ الْجُهَّالَ مِنْ غَيْرِ مَطْمَعٍ، لِتَكُونُوا أَسْبَابًا لِلْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، لَا كَالسَّبْخَةِ الَّتِي لَا يُؤْمَلُ مِنْهَا إِنْبَاتٌ!

يَا مَعْشَرَ أَنْصَارِي! هَلِ اكْتَفَيْتُمْ بِأَنْ تَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ أَنْصَارِي وَأَنْتُمْ لَا تَقْتَدُونَ بِي فِي الْعَمَلِ؟! أَنَّى لِيَ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مُتَرَعْزِعُونَ لِهَذَا الْحَدِّ؟!

أَيْنَ أَنْصَارِيَ الْحَقِيقِيُّونَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ نَبَذُوا الدُّنْيَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَتَحَرَّرُوا مِنْ كُلِّ تَعَلُّقٍ بِهَا، عَلَى مِثَالِ الْمَسِيحِ؟ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا رُفَقَاءَ الْمَوْتِ، وَيَرَوْنَ اللَّهَ حَاضِرًا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ؟ يَبْكُونَ مِنْ هَوْلِ النَّارِ كَأَنَّهُمْ ثَكَالَى! يَنْظُرُونَ إِلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي أَرْجَائِهَا! يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَجْتَنِبُونَ الطَّاغُوتَ. يُطِيعُونَ إِمَامَهُمْ، وَيَتَسَابَقُونَ فِي نُصْرَتِهِ. إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ زُبَرَ الْحَدِيدِ أَوْ جِبَالًا رَاسِيَةً! إِذَا هَاجَمُوا الْعَدُوَّ فِي صُفُوفِهِمْ، كَادُوا يُثِيرُونَ إِعْصَارًا وَعَاصِفَةً رَمْلِيَّةً! كَانُوا يُرَاقِبُونَ سُلُوكَهُمْ، وَيَعْرِفُونَ مَقَامَ كُلِّ مَقَالٍ. مُتَحَلِّينَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمُتَنَزِّهِينَ عَنْ كَبَائِرِ الرَّذَائِلِ. مَجْهُولِينَ فِي الْأَرْضِ، وَمَعْرُوفِينَ فِي السَّمَاءِ. شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا. لَهُمْ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ! يَقْضُونَ اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَقْضُونَ النَّهَارَ بِالتَّعَلُّمِ وَالْجِهَادِ وَالسَّعْيِ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ. لَا يَمُلُّونَ وَلَا يَرْتَابُونَ. رَحِمَهُمُ اللَّهُ. فَإِنَّهُمْ قَضَوْا نَحْبَهُمْ وَذَهَبُوا، وَأَنْتُمُ الْآنَ بَقِيتُمْ لَنَا. فَاجْتَهِدُوا أَنْ تَكُونُوا لَهُمْ خَلَائِفَ صَالِحِينَ، وَاقْتَدُوا بِهِمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تُدْرِكُوا الْفَرَجَ حَتَّى تَكُونُوا كَذَلِكَ.

الرسالة السابعة

جزء من رسالة جنابه في ذمّ علماء الزمان

لَا يَقْطَعُونَ مِنْ شَجَرَةِ الدِّينِ وَرَقَةً، وَلَكِنْ يَقْتَلِعُونَ جِذْرَهَا! يُخْرِجُونَ الْقَشَّةَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَيَتْرُكُونَ الْجِذْعَ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ! يَنُشُّونَ الذُّبَابَ مِنْ ظُهُورِ النَّاسِ، وَيَحْمِلُونَ الْجَمَلَ عَلَى ظُهُورِ أَنْفُسِهِمْ! يُزَيِّنُونَ مَظَاهِرَهُمْ، وَيُدَنِّسُونَ بَوَاطِنَهُمْ! أَمَامَ النَّاسِ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَخَلْفَ الْجُدُرِ أَمَرُّ مِنَ الْحَنْظَلِ! يُحِبُّونَ الْحَقَّ، وَلَكِنْ لَا بِقَدْرِ السُّلْطَةِ، وَيُحِبُّونَ الْعِلْمَ، وَلَكِنْ لَا بِقَدْرِ الشُّهْرَةِ! يُرِيدُونَ الْآخِرَةَ لِغَيْرِهِمْ، وَالدُّنْيَا لِأَنْفُسِهِمْ! يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ أَكْبَرَ مِمَّا هُمْ، وَيَعْتَبِرُونَ غَيْرَهُمْ أَصْغَرَ مِمَّا هُمْ! يُرِيدُونَ اللَّهَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا يُرِيدُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ! الْحِكْمَةُ وَالْجَهَالَةُ عَلَيْهِمْ سَوَاءٌ، وَالنُّورُ وَالظُّلْمَةُ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ! لَقَدْ غَرَّهُمْ إِطْرَاءُ الْجَهَلَةِ، وَأَعْجَبَتْهُمُ الْأَلْقَابُ الْفَاخِرَةُ! يُقَدِّمُونَ الْمَصْلَحَةَ عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَيُؤْثِرُونَ الْمَنْفَعَةَ عَلَى الْحَقِيقَةِ! لَا يَحْسَبُونَ الْحَقَّ فِي شَيْءٍ مِمَّا يُنْكِرُونَهُ، وَلَا يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغُوهُ مَبْلَغًا لِغَيْرِهِمْ! فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ قَدْ حَذَوْا حَذْوَ عُلَمَاءِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُحَرِّفُونَ أَلْفَاظَ الْكِتَابِ، وَهَؤُلَاءِ يُحَرِّفُونَ مَعَانِيهِ! فَكُونُوا مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ، كَيْ لَا يُضِلُّوكُمْ كَمَا أَضَلَّ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ عُلَمَاؤُهُمْ!

شرح الرسالة:

من الواضح أنّ مراد جنابه بهؤلاء العلماء، هم الخونة الذين ارتدوا لباس أهل العلم وحملوا ألقابهم، ولكنّهم يعارضون دعوته إلى الدّين الخالص ويمنعون الناس من إجابتها، أو يتجاهلونها ويسكتون عنها، استخفافًا بالحقّ وإطفاءً لنور اللّه، وليس مراده العلماء الصالحين الذين يجيبون دعوته بلا تكبّر ولا تعصّب، ثمّ ينصرونها بألسنتهم وأيديهم؛ لأنّهم عباد اللّه المخلصون، وأولياؤه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

الرسالة الثامنة

جزء من رسالة جنابه فيها ينبّه الناس على غربة الإسلام، ويدعوهم إلى معرفته وإقامته كما هي، ويوبّخهم على التهاون والتبديل فيه.

أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ! كُونُوا خَائِفِينَ؛ فَإِنَّكُمْ قَدْ دُنْتُمْ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، وَدَخَلْتُمْ فِي طُرُقٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ، وَوَهَنْتُمْ فِي تَوَالِي تَقَلُّبَاتِ الزَّمَانِ، وَانْكَسَرْتُمْ فِي تَلَاطُمِ فِتَنِ الدُّنْيَا، وَأَصْبَحْتُمُ الْآنَ مُتَّبِعِينَ لِمَنْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ مِنْكُمُ اتِّبَاعَهُمْ؛ فَأَخْرَجَكُمْ أَوْلِيَاؤُكُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، وَشَرَعُوا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

لَقَدْ أَنْذَرَ الْمُنْذِرُ، وَحَصْحَصَ الْحَقُّ، وَافْتَضَحَ الْبَاطِلُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَلَوْ كَانَ الْحَقُّ يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا يُعَرِّضُ دُنْيَاهُمْ لِلْخَطَرِ، لَعَرَفُوهُ وَقَبِلُوهُ كُلُّهُمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ اثْنَانِ مِنْهُمْ، لَكِنَّهُ يَأْتِيهِمْ مُخَالِفًا لِأَمَانِيِّهِمُ الْقَدِيمَةِ، وَيَهْدِمُ اعْتِقَادَاتِهِمُ الَّتِي كَأَنَّهَا بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فِي الْوَهْنِ، وَيُعَرِّضُ مَا يَمْلِكُونَهُ فِي الدُّنْيَا لِلْخَطَرِ، وَهُنَالِكَ يَقِلُّ عَارِفُوهُ وَيَنْدُرُ قَابِلُوهُ.

---

١. الشّورى/ ٢١

إِذَا جَاءَ الْحَقُّ أَهَمَّتِ الْأَثْرِيَاءَ ثَرْوَتُهُمْ، وَالْأَقْوِيَاءَ قُوَّتُهُمْ، وَالْمَشَاهِيرَ شُهْرَتُهُمْ، وَالتَّبَعَةَ رُؤَسَاؤُهُمْ، وَالْمُقَلِّدَةَ مَرَاجِعُ تَقْلِيدِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْفُقَرَاءَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَغْمُورِينَ وَالْأَحْرَارَ وَالْمُحَقِّقِينَ هُمُ الَّذِينَ يُجِيبُونَ الْحَقَّ وَيَتَّبِعُونَهُ غَالِبًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ ثَرْوَةٌ تُقْلِقُهُمْ، وَلَا قُوَّةٌ تُخِيفُهُمْ، وَلَا شُهْرَةٌ تُحْزِنُهُمْ، وَلَا رَئِيسٌ يُؤَاخِذُهُمْ، وَلَا مَرْجَعُ تَقْلِيدٍ يَحْمِلُهُمْ عَلَى اعْتِقَادِهِ بِاسْمِ الْفَتْوَى!

لَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بِمَكَّةَ، أَجَابَهُ فُقَرَاؤُهَا وَأَنْكَرَهُ أَثْرِيَاؤُهَا، وَنَصَرَهُ مُسْتَضْعَفُوهَا وَعَادَاهُ أَقْوِيَاؤُهَا، وَأَحَبَّهُ مَغْمُورُوهَا وَأَبْغَضَهُ مَشَاهِيرُهَا، وَاتَّبَعَهُ أَحْرَارُهَا وَأَطَاعَ تَبَعَتُهَا رُؤَسَاءَهَا، وَدَرَسَهُ مُحَقِّقُوهَا وَقَلَّدَ مُقَلِّدَتُهَا آبَاءَهَا! أَلَا إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَقَدْ عَادَ الْآنَ إِلَى غُرْبَتِهِ الْأُولَى؛ غَيْرَ أَنَّ الْغُرْبَةَ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ مِنَ الْغُرْبَةِ الْأُولَى؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي الْغُرْبَةِ الْأُولَى، كَانُوا يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا مِنَ الْحَجَرِ وَالْخَشَبِ، وَهُمْ فِي الْغُرْبَةِ الْآخِرَةِ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا مِنَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ!

شرح الرسالة:

لمزيد المعرفة عمّا أراد حفظه اللّه تعالى بهذه الكلمات، راجع: كتاب «العودة إلى الإسلام».

الرسالة التاسعة

رسالة من جنابه يشبّه فيها ما يعمل للمهديّ بما عمل مسلم بن عقيل للحسين بن عليّ

كتب المنصور الهاشمي الخراساني إلى بعض أنصاره من أهل خراسان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلِي فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ كَمَثَلِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ؛ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَفْعَلُونَ مَعِي؛ فَوَاللَّهِ سَيَقُومُ الْمَهْدِيُّ لِأَمْرٍ قَامَ لَهُ الْحُسَيْنُ، وَمَنْ نَصَرَ الْمَهْدِيَّ كَانَ كَمَنْ نَصَرَ الْحُسَيْنَ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ، وَالسَّلَامُ.

شرح الرسالة:

قال أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) في «مقاتل الطالبيّين»: قال المدائنيّ، عن هارون بن عيسى، عن يونس بن أبي إسحاق، قال: «لمّا بلغ أهل الكوفة نزول الحسين عليه السّلام مكّة وأنّه لم يبايع ليزيد، وفد إليه وفد منهم عليهم أبو عبد اللّه الجدليّ، وكتب إليه شبث بن ربعيّ وسليمان بن صرد والمسيّب بن نجية ووجوه أهل الكوفة يدعونه إلى بيعته وخلع يزيد، فقال لهم الحسين: <أَبْعَثُ مَعَكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي، فَإِذَا أَخَذَ لِي بَيْعَتِي وَأَتَانِي عَنْهُمْ بِمِثْلِ مَا كَتَبُوا بِهِ إِلَيَّ، قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ>، ودعا مسلم بن عقيل، فقال له: <اشْخَصْ إِلَى الْكُوفَةِ، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمُ اجْتِمَاعًا عَلَى مَا كَتَبُوا، وَرَأَيْتَهُ أَمْرًا تَرَى الْخُرُوجَ مَعَهُ، فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِرَأْيِكَ>، فقدم مسلم الكوفة، وأتته الشيعة، فأخذ بيعتهم للحسين»[1]،

١ . مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الأصفهاني، ص٦٣

ثمّ ذكر قصّتهم إلى أن خذلوه وسلّموه إلى عبيد اللّه بن زياد، بحيث أنّه -رحمه اللّه- لمّا استيقن بالموت لم يجد من أوصى إليه، فأوصى إلى رجل من أعدائه كان له قرابة، فقال له: «ابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ مَنْ يَرُدُّهُ»[١]. فإنّما أراد المنصور حفظه اللّه تعالى بهذا التشبيه أنّه كما جاء مسلم بن عقيل إلى العراق ليمهّد الطريق لحكومة الحسين، كذلك جاء هو إلى خراسان ليمهّد الطريق لحكومة المهديّ، وكما أخذ مسلم بن عقيل من أهل العراق بيعة للحسين، كذلك يأخذ هو من أهل خراسان بيعة للمهديّ، وكما أنّ خذلان أهل العراق لمسلم بن عقيل حال بين الحسين ووصوله إلى الحكومة، كذلك يحول خذلان أهل خراسان له بين المهديّ ووصوله إلى الحكومة، ولذلك يجب الإعتبار بالتاريخ والمنع من تكراره، وهذا يعود إلى قول اللّه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[٣].

١. نفس المصدر، ص٦٧
٢. يوسف/ ١١١
٣. الرّوم/ ٤٢

الرسالة العاشرة

رسالة من جنابه كتبها في بداية حركته، فبيّن فيها مقصوده بصراحة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا يَكْتُبُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْمَنْصُورُ الْهَاشِمِيُّ الْخُرَاسَانِيُّ بِيَدِهِ، وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَيْهِ، حِينَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَمَّا بَعْدُ..

فَاعْلَمُوا أَنِّي لَا أَقْصُدُ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ كَسْبَ ثَرْوَةٍ أَوْ سُلْطَةٍ أَوْ شُهْرَةٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا أُرِيدُ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَلَا أَنْ أَبْتَدِعَ فِي الدِّينِ، أَوْ أُنْشِئَ فِرْقَةً، أَوْ أُحَرِّمَ حَلَالًا، أَوْ أُحَلِّلَ حَرَامًا، أَوْ أَدَّعِيَ لِنَفْسِي مَا لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لِي. إِنِّي لَسْتُ مَلَكًا، وَلَا أَقُولُ يُوحَى إِلَيَّ، وَلَا أَقُولُ أَنِّي صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ[1]، وَلَا أَقُولُ أَنِّي عَلَى صِلَةٍ بِهِ. إِنَّمَا أَقْصُدُ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ إِقَامَةَ الْإِسْلَامِ وَتَهْذِيبَهُ مِنَ الْبِدَعِ، اعْتِمَادًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ. لَسْتُ بِجَبَّارٍ ظَالِمٍ وَلَا دَجَّالٍ فَاتِنٍ، وَلَكِنْ جِئْتُ لِأُذَكِّرَكُمْ مَا نَسِيتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَأُبَيِّنَ لَكُمْ مَا كَتَمْتُمْ مِنْهُ، دُونَ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَجْرًا، أَوْ أَمُنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ.

---

١ . يعني الإمام المهديّ.

إِنَّمَا جِئْتُ لِأُصَدِّقَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَأُمَهِّدَ لَهُ الطَّرِيقَ، فَأَجْمَعَ لَهُ جَمْعًا، وَأُرَبِّيَهُمْ تَحْتَ جَنَاحِي، بِالْكُتُبِ وَالْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْآدَابِ، كَشَمْعَةٍ تُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، حَتَّى أُقَرِّبَ مَا بَعَّدْتُمُوهُ، وَأُسَهِّلَ مَا صَعَّبْتُمُوهُ، وَأَكُونَ لِلْمَظْلُومِينَ مِنْكُمْ بَشِيرًا، وَلِلظَّالِمِينَ مِنْكُمْ نَذِيرًا. لَا رَيْبَ أَنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَمَا تَنْتَظِرُونَ لَوَاقِعٌ، إِذَا قَامَ لَهُ عَدَدٌ كَافٍ مِنْكُمْ، وَانْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يَأْمَنَ مَنْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَسْتَقْوِيَ مَنْ يَجِدُ نَفْسَهُ ضَعِيفًا. إِنَّمَا مَقْصُودِي مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ هُوَ التَّمْهِيدُ لِدَوْلَةِ الْمَهْدِيِّ. إِنَّمَا مَقْصُودِي هُوَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَأَعِينُونِي عَلَى بُلُوغِ مَقْصُودِي، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْكُمْ، وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمُ الَّتِي قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ، حِينَ تُجِيبُونَ دَعْوَتِي إِلَيْهِ، وَتُسَارِعُونَ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لَهُ، وَتَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ مَلَكُوتُهُ، وَيُقَدَّسَ فِيهَا اسْمُهُ إِلَى الْأَبَدِ. لَقَدْ أَعْذَرْتُ إِلَيْكُمْ، وَأَوْضَحْتُ لَكُمْ سَبِيلِي. فَالْآنَ مَنْ نَصَرَنِي فَهُوَ مِنِّي، وَمَنْ خَذَلَنِي فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرِي، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ، وَالسَّلَامُ.

الرسالة الحادية عشرة

رسالة من جنابه فيها يأمر بالعدل ويدعو إلى أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ، وَالْقَادِرِ الَّذِي لَا يَضْعُفُ، وَالْعَالِمِ الَّذِي لَا يَغْفُلُ، وَالْيَقْظَانِ الَّذِي لَا يَنَامُ، وَالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ؛ الْحَمِيدِ بِذَاتِهِ، النَّزِيهِ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ؛ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ، الدَّائِمِ فِي قِيَامِهِ؛ الَّذِي هُوَ بَاطِنٌ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ، وَظَاهِرٌ مِنْ وَرَاءِ أَلْفِ حِجَابٍ؛ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لِتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ؛ الَّذِي خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ بِرَحْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَأَسْكَنَهُمُ النُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ، لِيُقَدِّسُوهُ وَيَخْدِمُوهُ؛ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ بِحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ، لِيَعْرِفَهُ وَيَعْبُدَهُ. فَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَمَتَّعَهُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ، حَتَّى إِذَا طَغَى وَعَصَى، نَفَاهُ إِلَى أَرْضٍ وَعْرَةٍ لِيَقْدِرَ الْجَنَّةَ وَيَتَعَلَّمَ الطَّاعَةَ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَ الْهُدَى الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ عِنْدِهِ لِكَيْ لَا يَخَافَ وَلَا يَحْزَنَ، وَلَا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَى؛ فَقَالَ: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[2]، وَكَانَ هَذَا الْعَهْدُ مِفْتَاحًا وَهَبَهُ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ لِيَفْتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْفَلَاحِ الْمُغْلَقَةَ، وَيَعُودَ إِلَى مَسْكَنِهِ الْأَوَّلِ.

---

١. البقرة/ ٣٨
٢. طه/ ١٢٣

فَفِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْوَعْرَةِ، وَلَدَتِ الْأُمَّهَاتُ، وَرَبَا الْأَوْلَادُ، وَدَبَّ الْأَجْيَالُ، وَكَثُرَ الْأَنَامُ، فَانْتَشَرُوا فِي الْجِبَالِ وَالصَّحَارِي وَالْغَابَاتِ وَالْبِحَارِ، وَتَدْرِيجِيًّا، وَمَعَ مُرُورِ الزَّمَانِ، نَسُوا تَارِيخَهُمْ، وَضَلُّوا عَنْ خَالِقِهِمْ، وَتَجَاهَلُوا قَرَابَتَهُمْ، وَأَصْبَحَ بَعْضُهُمْ أَعْدَاءَ بَعْضٍ؛ كَمَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَخْبَرَهُمْ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1]، لَكِنَّهُمْ حَسِبُوا أَنَّ مَتَاعَهُمْ فِي الْأَرْضِ لَا يَفْنَى، وَأَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ لَا يَرْجِعُونَ. فَاسْتَكْبَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى مَلَؤُوا الْبَرَّ وَالْبَحْرَ فَسَادًا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[2]؛ إِذْ قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاسْتَعْبَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَخْرَجَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَنَهَبَ بَعْضُهُمْ أَمْوَالَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا مُلِئَتِ الْأَرْضُ مِنْ ظُلْمِهِمْ وَجَوْرِهِمْ.

هُنَالِكَ اخْتَارَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَنْبِيَاءَ، فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيَكُفَّ النَّاسُ عَنِ الْعُدْوَانِ، وَيَقُومُوا بِالْعَدْلِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[3]، وَكَانَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودَ مِنْ بِعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ عَادِلًا، وَخَلَقَ الْعَالَمَ عَلَى أَسَاسِ الْعَدْلِ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ فِيهِ جَارِيًا؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[4]. فَبَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ لِيُصَارِعُوا الظُّلْمَ وَيَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ، وَأَنْزَلَ الْحَدِيدَ لِيَأْخُذُوهُ، فَيُقَاتِلُوا بِهِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ أَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ فِي الْعَالَمِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[5]؛

١. الأعراف/ ٢٤
٢. الرّوم/ ٤١
٣. الحديد/ ٢٥
٤. الرّحمن/ ٧-٩
٥. الحديد/ ٢٥

لِأَنَّ الْعَالَمَ خُلِقَ عَلَى أَسَاسِ الْعَدْلِ، وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالْعَدْلِ. إِنَّ الظُّلْمَ يُفْسِدُ الْعَالَمَ، وَيُخِلُّ بِنِظَامِ الْخَلْقِ، وَيَجُرُّ الْأَرْضَ إِلَى الْخَرَابِ، وَلَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

إِنَّهُ مُنْذُ أَوَّلِ يَوْمٍ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ «قَدْرًا»، وَ«مَوْضِعًا» مُتَنَاسِبًا مَعَ قَدْرِهِ، لِيَقِرَّ فِيهِ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُ فَيُفْسِدَ؛ كَمَا قَالَ: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[2]، وَقَالَ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[3]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[4]، وَقَدْرُ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الْإِسْتِعْدَادُ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ. فَالْعَدْلُ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءُ قَدْرَهُ، وَيَقِرَّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ، وَالظُّلْمُ أَنْ لَا يَعْلَمَ الشَّيْءُ قَدْرَهُ، وَيَخْرُجَ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَيَحْتَلَّ مَوْضِعًا آخَرَ لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَهُ، وَالظُّلْمُ أَبُو الْفَسَادِ. لِذَلِكَ، لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ إِلَّا لِيُذَكِّرُوا النَّاسَ بِأَقْدَارِهِمْ، حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَقْدَارَهُمْ، وَيَجِدُوا مَوَاضِعَهُمْ، وَيَقِرَّ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَخْرُجُوا مِنْ مَوَاضِعِهِمْ، وَلَا يَحْتَلُّوا مَوَاضِعَ غَيْرِهِمُ الَّتِي لَا تَتَنَاسَبُ مَعَ أَقْدَارِهِمْ، وَلَا يَظْلِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. فَعَرَّفَ الْأَنْبِيَاءُ النَّاسَ عَلَى أَقْدَارِهِمُ الَّتِي كَانَتْ مَوَاهِبَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْعَدْلِ، وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الظُّلْمِ، لِيَمْلَؤُوا مَوَاضِعَهُمُ الشَّاغِرَةَ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ مَوْضِعَ بَعْضٍ، وَيَسْتَعْمِلُوا مَوَاهِبَهُمْ، وَلَا يَمْنَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنِ اسْتِعْمَالِ مَوَاهِبِهِمْ، حَتَّى يَصِلُوا جَمِيعًا إِلَى كَمَالِهِمْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَيَمْتَلِئَ الْعَالَمُ بِالْعَدْلِ، بَعْدَ أَنِ امْتَلَأَ بِالظُّلْمِ.

---

١. آل عمران/ ١٠٨
٢. الطّلاق/ ٣
٣. الفرقان/ ٢
٤. القمر/ ٤٩

فَجَاءَ الْأَنْبِيَاءُ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ بِالْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَبَيَّنُوا لِكُلِّ أُمَّةٍ بِلِسَانِهَا، وَنَادَوْا بِالْعَدْلِ فِي الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ لِهَذِهِ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ مِنَ الْجَبَلِ وَالصَّحْرَاءِ وَالْغَابَةِ وَالْبَحْرِ، وَكَافَحُوا الظُّلْمَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ، وَلَكِنَّ النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ نَسُوا عَهْدَ اللَّهِ فِي يَوْمِ النَّفْيِ وَفَقَدُوا مِفْتَاحَ الْفَلَاحِ، كَذَّبُوهُمْ وَلَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ أَقْدَارَهُمْ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِمَوَاضِعِهِمْ، وَيَسْتَعْلِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْلِفُونَ الظُّلْمَ وَالْفَسَادَ، وَيَتَّبِعُونَ كُبَرَاءَهُمْ، وَكَانَ كُبَرَاؤُهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ لِيَتَخَطَّفُوا الْأَنْبِيَاءَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّهُمْ قَدْ قَعَدُوا فِي مَقَاعِدِ الْآخَرِينَ، وَلَوِ انْقَادُوا لِلْعَدْلِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْقِيَامِ مِنْ مَقَاعِدِهِمْ وَتَرْكِ الْكِبْرِ لِلَّذِينَ أَكْبَرَهُمُ اللَّهُ؛ الَّذِينَ قَدِ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَاضْطُهِدُوا بِأَيْدِيهِمْ! فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنْكَرَهُ كُبَرَاءُ النَّاسِ وَوَقَفُوا فِي وَجْهِهِ لِكَيْ لَا يَتَقَدَّمَ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[1]، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّ مَا أُرْسِلَ بِهِ الْمُنْذِرُونَ كَانَ هُوَ «الْعَدْلَ» الَّذِي لَمْ يَكُنْ كُبَرَاءُ الْقُرَى يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعَدْلَ لَمْ يَزَلْ يُضِرُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَيَنْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ هَؤُلَاءِ وَيَرْفَعُ هَؤُلَاءِ! فَتَعَاطَوْا فَذَبَحُوا بَعْضًا، وَحَرَّقُوا بَعْضًا، وَأَلْقَوْا بَعْضًا إِلَى الْأُسْدِ الْجَائِعَةِ، وَرَمَوْا بَعْضًا مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَاسْتَفَزُّوا بَعْضًا مِنَ الْأَرْضِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَ الْعَدْلَ وَيَخَافُونَ قِيَامَهُ! لِدَرَجَةٍ أَنَّ نُوحًا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَّا ثَمَانُونَ كَانَ ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَوَقَعَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا سَبْعِينَ نَبِيًّا زَكِيًّا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ غَدَوْا إِلَى مَكَاسِبِهِمْ، وَكَانَ بَائِعُ الرُّطَبِ يُنَادِي: الرُّطَبَ! الرُّطَبَ!

---

١. سبأ/ ٣٤

كَذَلِكَ جَاءَ الْأَنْبِيَاءُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَدَعَوُا النَّاسَ إِلَى الْعَدْلِ، فَكُذِّبُوا وَظُلِمُوا، حَتَّى جَاءَ دَوْرُ خَاتَمِهِمْ وَوَارِثِهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فَبَعَثَهُ اللَّهُ بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ لَمْ يَأْتِ فِيهَا نَبِيٌّ وَلَمْ يَنْزِلْ فِيهَا وَحْيٌ؛ كَانَ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ قَدْ حُرِّفَتْ، وَالسُّنَنُ الْحَسَنَةُ قَدْ بُدِّلَتْ، وَسُبُلُ النَّجَاةِ قَدْ خَفِيَتْ، وَأَعْلَامُ الْهُدَى قَدْ سَقَطَتْ؛ النَّاسُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَتِيهُونَ فِي ظُلُمَاتِ الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ؛ يَعِيشُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَمُوتُونَ فِيهَا؛ لَا يَعْرِفُونَ أَقْدَارَهُمْ، وَيَعْتَدِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ، بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ. فَبَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ كَمَا يَجِبُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى طَرِيقَتِهِ كَمَا يَحِقُّ؛ أَدَّى مَا وُكِّلَ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ الْعَدْلِ، وَأَخَذَ فِيمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[2]. فَدَعَا إِلَى الْعَدْلِ، وَجَهَدَ فِي إِقَامَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ الْكَافِرِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتَهُ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْمَدِينَةِ ضَيَّعُوا جُهُودَهُ، حَتَّى رَضِيَ اللَّهُ لَهُ جِوَارَهُ، وَقَبَضَ إِلَيْهِ رُوحَهُ الطَّيِّبَةَ، وَأَلْحَقَهَا بِأَرْوَاحِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ؛ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3].

كَانَ هَذَا انْتِهَاءَ سِلْسِلَةِ النُّبُوَّةِ، وَانْغِلَاقَ بَوَّابَةِ الْوَحْيِ، وَلَكِنْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَبْدِيلَ لَهَا أَنْ لَا يَتْرُكَ الْأَرْضَ يَوْمًا وَاحِدًا بِغَيْرِ خَلِيفَةٍ لَهُ فِيهَا يَجْعَلُ الْعَدْلَ فِيهَا مُمْكِنًا؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4]. فَلَمْ يَذْهَبْ بِنَبِيِّهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ حَتَّى جَعَلَ لَهُ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَخْبَرَ النَّاسَ بِقَدْرِهِمْ وَمَوْضِعِهِمْ، لِيَكُونُوا أَدِلَّاءَ الْعَدْلِ، وَالْمُقِيمِينَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَلِيُتِمُّوا عَمَلَهُ، وَيُنْتِجُوا جُهُودَهُ، وَكَانُوا هُمْ عِتْرَتَهُ أَهْلَ بَيْتِهِ، الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْ إِرَادَتِهِ لِتَطْهِيرِهِمْ، وَفَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ مَوَدَّتَهُمْ، إِذْ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[5]،

١. الأعراف/ ٢٩
٢. الشّورى/ ١٥
٣. البقرة/ ١٥٦
٤. البقرة/ ٣٠
٥. الأحزاب/ ٣٣

وَقَالَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١]، وَقَالَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، وَقَالَ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٣]. فَجَعَلَ مَوَدَّتَهُمْ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ، وَسَبِيلًا إِلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ طَهَارَتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ دِعَامَةً لِذَلِكَ، لِيَبْتَلِيَ عِبَادَهُ مِنْ بَعْدِ نَبِيِّهِ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَعْلَمَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ مِنْهُمْ وَيَعْلَمَ الْعَاصِينَ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ فَقَدِ اتَّبَعَهُ لِنَفْسِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[٤].

إِنَّ خُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ رِجَالٌ هُدُوا إِلَى قَدْرِ كُلِّ شَيْءٍ وَمَوْضِعِهِ فِيهَا، وَطُهِّرُوا مِنَ الظُّلْمِ تَطْهِيرًا، لِيَضَعُوا كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ بِطَهَارَتِهِمْ، وَهَكَذَا يُقِيمُوا الْعَدْلَ، وَيُزِيلُوا الظُّلْمَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٥]، وَهُمْ عِتْرَةُ النَّبِيِّ أَهْلُ بَيْتِهِ، الَّذِينَ أَخْبَرَ النَّاسَ عَنْ قَدْرِهِمْ، وَدَلَّهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ قَبْلَ مَوْتِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي أُوشَكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ، فَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، نَبَّأَنِي بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»[٦]، وَلَكِنَّ الْمُؤْسِفَ أَنَّهُ لَمَّا دُعِيَ إِلَى اللَّهِ فَأَجَابَ، لَمْ يَتَمَسَّكْ بِهِمَا أَكْثَرُهُمْ؛

---

١. الشّورى/ ٢٣ يعني قربى النبيّ، وأقربهم عترته أهل بيته. انظر: العودة إلى الإسلام، ص١٣٢.
٢. الأنعام/ ٩٠
٣. الفرقان/ ٥٧
٤. سبأ/ ٤٧
٥. الأعراف/ ١٨١
٦. هذا حديث متواتر مشهور. لمعرفة طرقه ومصادره، راجع: العودة إلى الإسلام، ص١٢٨.

لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَكْفِيهِمْ، وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى عِتْرَةِ نَبِيِّهِ أَهْلِ بَيْتِهِ! فَنَسُوا قَدْرَ عِتْرَتِهِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَاحْتَلُّوا مَوْضِعَهُمْ، وَهُنَالِكَ بَدَأَتْ ضَلَالَةُ الْأُمَّةِ، وَسَالَ سَيْلُ شَقَاوَتِهِمْ! أَلَمْ يَعْهَدِ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ أَنْ يَتَّبِعُوا هُدَاهُ حَتَّى لَا يَشْقَوْا، وَيَعْهَدْ إِلَيْهِمْ نَبِيُّهُ فِي سُنَّتِهِ أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَعِتْرَتِهِ أَهْلِ بَيْتِهِ حَتَّى لَا يَضِلُّوا؟! فَمَا حَمَلَهُمْ أَنْ نَسُوا عَهْدَ اللَّهِ وَجَعَلُوا عَهْدَ نَبِيِّهِ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ؟! لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ كَانُوا خَاطِئِينَ!

حِينَئِذٍ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ كَقَطِيعٍ تَائِهَةٍ فَقَدَتْ رَاعِيَهَا، وَلَمْ تَعْرِفِ الذِّئَابُ مِنْ أَيِّ جَانِبٍ يَأْكُلُونَهَا! دَخَلَ النَّاسُ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ أَفْوَاجًا؛ نُسِيَتِ السُّنَنُ، وَظَهَرَتِ الْبِدَعُ الْمُوبِقَةُ؛ انْقَلَبَ الْإِسْلَامُ الْحَدِيثُ كَفَرْوٍ لُبِسَ مَقْلُوبًا، حَتَّى رَجَعَ النَّاسُ إِلَى جَاهِلِيَّتِهِمُ الْأُولَى، وَأَحْيَوْا مَا مَاتَ مِنَ السُّنَنِ الْجَاهِلِيَّةِ. أَكْرَهُوا الْحَسَنَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ، وَالْحُسَيْنَ عَلَى الْمُقَاتَلَةِ، وَقَتَلُوا أَبْنَاءَ الْحُسَيْنِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ، وَوَضَعُوا فِي مَوْضِعِهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِثْلُ قَدْرِهِمْ؛ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[1].

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ هَذَا الْعِنَادِ أَنْ سَيْطَرَ عَلَى الْأُمَّةِ الْجَبَابِرَةُ بَعْدَ الْجَبَابِرَةِ، وَالسُّفَهَاءُ بَعْدَ السُّفَهَاءِ، وَالْفَسَقَةُ بَعْدَ الْفَسَقَةِ، وَالْمُبْتَدِعَةُ بَعْدَ الْمُبْتَدِعَةِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ أَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ شَيْئًا، وَلَمْ يَمْنَحْ فُرْصَةً لِأَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ عِتْرَةِ النَّبِيِّ أَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يُثْبِتَ قَدَمَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَيُرْوِيَ غَلِيلَ الْمَظْلُومِينَ بِكَأْسِ الْعَدْلِ!

---

١. آل عمران/ ٢١-٢٢

كُلٌّ مِنْهُمْ خَرَقَ لِنَفْسِهِ شَرْعِيَّةً بِمَكْرِهِ وَآتَاهُمْ عُذْرًا، ثُمَّ رَكِبُوا عَرَبَةَ السُّلْطَةِ، فَاكْتَسَحُوا أَوَّلَ الْأُمَّةِ وَآخِرَهَا، وَجَرُّوا دِينَ اللَّهِ إِلَى شفا حفرة الزوال، وَفِي غُضُونِ ذَلِكَ، لَمْ يَزَلِ الْجُهَّالُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَغَرَّمُونَ دَوْمًا بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ، يُعِينُونَ بَعْضَ الظَّالِمِينَ عَلَى بَعْضٍ، وَيَسْتَبْدِلُونَ دَوْلَةَ ظُلْمٍ بِدَوْلَةِ ظُلْمٍ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

حَتَّى إِذَا جَاءَ دَوْرُ الْمَهْدِيِّ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَقَسَتِ الْقُلُوبُ، بَعَثَ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، لِيُذَكِّرَهُمْ بِعَهْدِهِ، وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى خَلِيفَتِهِ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّهِ أَهْلِ بَيْتِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَأَنَا ذَلِكَ الْعَبْدُ. فَأَجِيبُوا دَعْوَتِي، وَارْجِعُوا إِلَى الْمَهْدِيِّ، تُغْفَرْ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ، وَتَصْلُحْ لَكُمْ أُمُورُكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ أَتَى عَادًا وَثَمُودَ وَقَوْمَ نُوحٍ.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[2]

---

١. الأنعام/ ١٢٩
٢. طه/ ٤٧

الرسالة الثانية عشرة

جزء من رسالة جنابه في ذمّ مدّعي الولاية الشرعيّة من حكّام الجور وأتباعهم

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ حُكَّامًا وَانْقَادُوا لِأَحْكَامٍ غَيْرِ أَحْكَامِهِ، وَقَالُوا عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ إِذْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِذَلِكَ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَأْمُرَهُمْ بِالشِّرْكِ، لَكِنَّهُمُ افْتَرَوْا عَلَيْهِ الْكَذِبَ...

إِنَّ قُطَّاعَ سَبِيلِ اللَّهِ صَدُّوا النَّاسَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي الْأَرْضِ وَشَغَلُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، كَمَا يُمْنَعُ الصَّبِيُّ مِنْ ثَدْيِ أُمِّهِ وَيُلْهَى بِاللِّهَايَةِ؛ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ هَذَا النَّهْبِ أَنْ أَصْبَحَ النَّاسُ مُدْمِنِينَ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ بَعْدَ سُقُوطِهِمْ فِي حُفْرَةِ التَّقْلِيدِ فِي الْفُرُوعِ حَتَّى سَقَطُوا فِي بِئْرِ التَّقْلِيدِ فِي الْأُصُولِ، وَسَلَّطُوهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَخَضَعُوا لِوِلَايَتِهِمْ عَلَيْهِمْ كَوِلَايَةِ اللَّهِ، وَاتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ كَمَثَلِ الْيَهُودِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي فَتْرَةٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ، وَكُلَّمَا جَاءَهُمْ نَبِيٌّ كَذَّبُوهُ بِإِشَارَةٍ مِنْهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ بِفَتْوَاهُمْ؛ إِذْ لَا يَأْتِيهِمْ نَبِيٌّ إِلَّا يَتَكَلَّمُ ضِدَّ كَهَنَتِهِمْ وَيَكْشِفُ عَنْ مُرَاءَاتِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ...

حَقًّا قَدْ نَبَذْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَضَيَّعْتُمْ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ، وَذَبَحْتُمُ الْعُقُولَ عَلَى أَهْوَائِكُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِغَرِيبٍ؛

لِأَنَّكُمْ قَدِ ابْتَعَدْتُمْ عَنْ عَصْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ وَطَالَتْ عَلَيْكُمُ الْفَتْرَةُ، وَأَنْتُمُ الْآنَ خَلَائِفُ قَوْمٍ لَمْ يَرَوْا نَبِيًّا وَلَا وَصِيَّ نَبِيٍّ، فَوَرِثْتُمُ الدِّينَ مِنْهُمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، فَاتَّبَعْتُمْ خُطَى آبَائِكُمْ وَكُنْتُمْ ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2]...

أَلَا لَا تَغْتَرُّوا بِمَظْهَرِهِمْ وَلَا تَنْخَدِعُوا بِمَا يُوحُونَ إِلَيْكُمْ مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ؛ فَإِنَّهُمْ أَمْثَالُ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ عَنِ الْيَمِينِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾[3]! فِي حِينٍ أَنَّ الْيَمِينَ وَالشِّمَالَ مَضَلَّةٌ وَيَصِيرَانِ إِلَى مَصِيرٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ النَّارُ وَبِئْسَ لِلضَّالِّينَ مَصِيرًا. اعْرِفُوا دِينَ اللَّهِ بِكِتَابِهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي الْأَرْضِ، لَا بِآرَاءِ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ عَرَفُوا دِينَ اللَّهِ بِآرَاءِ الرِّجَالِ لَمْ يَعْرِفُوا دِينَ اللَّهِ...

ثُمَّ بِدَعْمٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَمْ يَجْعَلْهَا اللَّهُ لَهُمْ يُؤْذُونَ كُلَّ مُسْلِمٍ لَا يَخْضَعُ لِحُكْمِهِمْ وَلَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ، وَيَسْتَحِلُّونَ النَّيْلَ مِنْ مَالِهِ وَنَفْسِهِ وَعِرْضِهِ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَبَعْضُ عُمَّالِهِمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَبَعْضُ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ أَكْثَرُهُمُ السُّفَهَاءُ يَتَبَرَّؤُونَ مِنْ مُخَالِفِيهِمْ كَأَنَّهُمْ مُخَالِفُو اللَّهِ، وَفِيهِمْ أَشْقِيَاءُ يَقْتُلُونَ لَهُمْ وَيُقْتَلُونَ!...

---

١. الأعراف/ ١٦٩
٢. الأعراف/ ١٧٣
٣. الصّافّات/ ٢٨

إِنَّ هَؤُلَاءِ صَاحُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا، وَطَارُوا قَبْلَ أَنْ يَرِيشُوا، وَغَطَسُوا فِي الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا السِّبَاحَةَ! فَلَبِسُوا ثَوْبًا أَكْبَرَ مِنْهُمْ وَحِذَاءً يَسْقُطُ مِنْ أَقْدَامِهِمْ! تَنَاوَلُوا لُقْمَةً لَا تَسَعُهَا أَفْوَاهُهُمْ، وَأَكَلُوا طَعَامًا لَا تَحْوِيهِ بُطُونُهُمْ، فَتُوشِكُ أَضْلَاعُهُمْ أَنْ تَتَفَكَّكَ! يَرْتَدُونَ مِثْلَ الرُّهْبَانِ وَيُفَكِّرُونَ مِثْلَ الْكُفَّارِ، وَيَقُولُونَ قَوْلَ الصَّالِحِينَ وَيَفْعَلُونَ فِعْلَ الْجَبَابِرَةِ! كَأَنَّهُمْ حَيَّاتٌ جَمِيلَةٌ تَحْمِلُ فِي بُطُونِهَا سَمًّا! يَخْرُجُونَ فِي الصَّبَاحِ لِلظُّلْمِ، وَيَعُودُونَ فِي الْمَسَاءِ لِلْمَكْرِ السَّيِّءِ! قَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحِرْصِ، وَلَا هَمَّ لَهُمْ سِوَى حِفْظِ مَا مُتِّعُوا بِهِ مِنَ السُّلْطَةِ! يَذُمُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَهُمْ مِنْ زُمْرَتِهِمْ، وَيُكَذِّبُونَ الْأَدْعِيَاءَ وَلَهُمْ مِثْلُ ادِّعَائِهِمْ! قَدْ ضَحَّوْا بِالدِّينِ لِلسِّيَاسَةِ، وَشَرَوُا الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا! قَدِ ارْتَكَبُوا ذُنُوبًا كَبِيرَةً، وَابْتَدَعُوا بِدَعًا قَبِيحَةً! قَدْ مَنَحُوا غَيْرَ الْأَكْفَاءِ الْمَنَاصِبَ، وَحَمَلُوا السِّفْلَةَ عَلَى الْمَنَاكِبِ! قَدْ عَزَلُوا الصَّالِحِينَ، وَشَوَّهُوا سُمْعَةَ النَّاصِحِينَ!...

وَاللَّهِ إِنْ تَنْظُرُوا فِي رَأْيِهِمْ تَجِدُوهُ سَخِيفًا، وَإِنْ تَدْرُسُوا حُجَّتَهُمْ تَجِدُوهَا دَاحِضَةً. أَفْكَارُهُمْ مُضْطَرِبَةٌ، وَأَقْوَالُهُمْ مُتَنَاقِضَةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ بِمَا يَقُولُونَ سُلْطَانًا وَهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَيْهِ كَذِبًا...

إِلَّا الَّذِينَ لَهُمْ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ، وَإِذَا بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ اللَّهِ أَجَابُوهَا وَتَابُوا إِلَيْهِ وَخَرَجُوا مِنْ صَفِّ الظَّالِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ، وَلِلْمُتَّقِينَ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ، حِينَ يُغْفَرُ لَهُمْ ذُنُوبُهُمْ، وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ، وَيُدْخَلُونَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، لِيَكُونَ لَهُمْ أَجْرًا بِمَا صَبَرُوا، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ...

لِمَاذَا لَمْ يَدْعُ الَّذِينَ مُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَى خَلِيفَةِ اللَّهِ فِيهَا، وَلَمْ يُؤْتُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ، حَتَّى يُمَكَّنَ لَهُ فِيهَا كَمَا مُكِّنَ لَهُمْ؟! أَخَافُوا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ مَكِنَتِهِمْ شَيْءٌ؟! لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَ مَكِنَتَهُمْ فِيهَا كُلَّهَا، حِينَ يَصِلُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِيهَا إِلَى الْمَكِنَةِ، حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُهُمْ فِيهَا مَنْ يَرْعَى غَنَمَ قَرْيَةِ أَبِيهِ!

أَلَا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا مَلِكٌ يَشْرِي مُلْكَهُ فِيهَا بِأَنْ يَكُونَ لَهُ مُلْكٌ فِي الْجَنَّةِ؟! إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْزِعَ مِنْهُمُ الْمُلْكَ قَهْرًا، لَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسَلِّمُوهُ إِلَيْهِ طَائِعِينَ...

الْحَقُّ أَنَّكُمُ انْحَرَفْتُمْ إِلَى الْيَمِينِ خَوْفًا مِنَ الشِّمَالِ، وَابْتُلِيتُمْ بِالْإِفْرَاطِ خَوْفًا مِنَ التَّفْرِيطِ، وَقَحَمْتُمْ فِي النَّارِ خَوْفًا مِنْهَا! مَعَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، وَحَذَّرَكُمْ مِنَ الشِّمَالِ وَالْيَمِينِ، فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]. فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَتَشْقَوْا، وَلَا تَتَّبِعُوا غَيْرَ سَبِيلِهِ فَتَضِلُّوا! إِنِّي لَكُمْ أَخٌ نَاصِحٌ. أَتُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[2]؟...

فَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ حَتَّى تَتَوَهَّمُوا الْإِضْطِرَارَ، وَتَقُولُوا: «إِنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ لَنَا مِنَ الْآخَرِينَ، وَلَا مَنْدُوحَةَ لَنَا مِنْهُمْ، وَنَدْفَعُ الْأَفْسَدَ بِالْفَاسِدِ»؛ لِأَنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا، وَلَا تَرْضَوْا بِالْفَاسِدِ، وَتَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ، يَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ مَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُونَ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ مَا قَدْ سَلَفَ؛ لِأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾[3]. إِنِّي أُبَشِّرُكُمُ الْآنَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُخَيِّرْ عِبَادَهُ بَيْنَ الْفَاسِدِ وَالْأَفْسَدِ، وَقَدْ كَانَ أَحْكَمَ وَأَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، بَلْ جَعَلَ مِنْ دُونِ الْفَاسِدِ وَالْأَفْسَدِ صَالِحًا، لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمُ الْآنَ لِأُخْبِرَكُمْ بِهِ وَأَكْشِفَ عَنْهُ بَعْدَ أَمَدٍ طَالَ عَلَيْكُمْ، لَعَلَّكُمْ تُبْصِرُونَ. قَدْ جِئْتُكُمُ الْآنَ بِبَلَاغٍ فِيهِ فَرَجٌ لَكُمْ، وَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ بَدَأَ بِأَمْرٍ قَدْ عُمِّيَ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

١. البقرة/ ١٤٣
٢. الأحزاب/ ٦٧
٣. الزّمر/ ١٧

فَإِنْ ثَبَتَتْ قَدَمِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَمْ يَتَخَطَّفْنِي مِنْهَا رِجَالٌ يُرِيدُونَ أَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ فِيهَا كَلَّمْتُكُمْ وَبَيَّنْتُ لَكُمُ الْحَقَّ، حَتَّى يَحْفَظَهُ الصِّبْيَانُ وَتَصِفَهُ رَبَّاتُ الْخُدُورِ، وَإِنْ أُخِذَتْ قَدِمِي وَنُزِعْتُ مِنَ الْأَرْضِ فَلَا أُبَالِي؛ لِأَنِّي لَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ آبَائِي وَلَا نَفْسِي بِأَنْفَسَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمَا أَحْلَى لِيَ اللُّحُوقَ بِهِمْ وَقَدِ اتَّبَعْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَمْ أُدْخِلْ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً، وَلَمْ أَدَّعِ مَا لَيْسَ لِي، وَلَمْ أُرِدْ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَقَدْ أَدَّيْتُ مَا عَلَيَّ لِقَوْمِي، وَمَا أَحَبَّ إِلَيَّ الْمَوْتَ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ مُلِئَتْ ظُلْمًا وَأَصْبَحَتْ أَنْجَسَ مِنْ مَيْتَةِ كَلْبٍ! لَا شَكَّ أَنَّ مَرْجِعِي إِلَى اللَّهِ، وَسَيَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الَّذِينَ يَخْذُلُونَنِي وَيَظْلِمُونَنِي. قَدْ وَعَدَ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ مِنْكُمْ وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، لِيَعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. ثُمَّ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَيْأَسُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُنْجِزُ وَعْدَهُ، وَلَهُ نُورٌ يُتِمُّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

إِذَا سُمِعَتْ أَقْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَنَادَى كُلُّ أَحَدٍ مِنْ جَانِبٍ فَاتَّبِعُوا قَوْلًا هُوَ أَكْثَرُ مُوَافَقَةً لِقَوْلِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ، وَأَجِيبُوا نِدَاءً هُوَ أَكْثَرُ انْسِجَامًا مَعَ نِدَاءِ الْعَقْلِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

وَكَذَلِكَ كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ لِتَتَذَكَّرُوا، وَتَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ، وَتَعْبُدُوا رَبَّكُمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَتَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ تَعْبُدُوهَا وَإِنْ كَانَتْ فِي رِدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَتَقُومُوا بِالْقِسْطِ، حَتَّى تَزُولَ الْفِتْنَةُ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِهِ مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

١. الزّمر/ ١٧-١٨

شرح الرسالة:

لمزيد من المعرفة عن مقصود جنابه في هذه الرسالة الكريمة، راجع مبحث «عدم إمكان ولاية الفقيه المطلقة» و«عدم وجوب طاعة الحكّام الظالمين» و«حاكميّة غير اللّه» من كتاب «العودة إلى الإسلام».

الرسالة الثالثة عشرة

رسالة من جنابه إلى بعض أصحابه يعظه فيها ويحذّره من رذائل الأخلاق.

كتب السيّد المنصور الهاشميّ الخراسانيّ في رسالة له إلى بعض أصحابه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَابْنَ أَخِي! أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَأَنْ تَذْكُرَهُ ذِكْرًا كَثِيرًا؛ فَإِنَّ الْإِكْثَارَ مِنْ ذِكْرِهِ دِرْعٌ مَنِيعٌ أَمَامَ الذُّنُوبِ، وَأُوصِيكَ بِمَعْرِفَةِ الدِّينِ وَفِقْهِ عَقَائِدِهِ وَأَحْكَامِهِ؛ فَإِنَّ الْجَهْلَ بِعَقَائِدِهِ يُورِثُ الضَّلَالَ، وَالْجَهْلَ بِأَحْكَامِهِ يُورِثُ الْعِصْيَانَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْلَمَ بِالدِّينِ فَهُوَ أَقْوَى عَلَى إِقَامَتِهِ، وَأُوصِيكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّذِينَ أَمَّرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لَهُمْ سَبَبٌ لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَخَيْرٌ وَصَلَاحٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأُوصِيكَ بِأَنْ لَا تَعْتَبِرَ ذَوْقَكَ كَعَقِيدَتِكَ، وَلَا تَجْعَلَ رَأْيَكَ مِنْ دِينِكَ؛ كَالَّذِينَ عَلَى هَذَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيُثِيرُونَ فِي الْأَرْضِ الْفِتَنَ، لِيُزِيلُوا مَا يَكْرَهُونَ وَيُقِيمُوا مَا يُحِبُّونَ، مَعَ أَنَّ مَا يَكْرَهُونَ لَيْسَ بِأَسْوَأَ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا يُحِبُّونَ. إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَرْضَوْنَ عَنِ الْآخَرِينَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُحَبُّونَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا مِنَ الْآخَرِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْآخَرِينَ.

كُنْ مُتَوَاضِعًا عَلَى الدَّوَامِ مِثْلَ التُّرَابِ، وَلَا تَخْشُنْ خُشُونَةَ الْحَجَرِ؛ فَإِنَّ التُّرَابَ بُورِكَ بِسَبَبِ تَوَاضُعِهِ، وَالْحَجَرَ لُعِنَ بِسَبَبِ خُشُونَتِهِ. إِذَا جِئْتَ بِخَطِيئَةٍ فَلَا تُحَاوِلْ تَبْرِيرَهَا؛ فَإِنَّ تَبْرِيرَهَا هُوَ خَطِيئَةٌ أُخْرَى، وَلَكِنِ اعْتَرِفْ بِهَا لِتُغْفَرَ لَكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِلْمُعْتَرِفِينَ، وَيَعْتَبِرُ الْمُبَرِّرِينَ كَاذِبِينَ. كُنْ فَرِحًا بِنَصِيحَةِ النَّاصِحِينَ وَإِنِ اسْتَغْلَظَتْهَا، وَكُنْ حَذِرًا مِنْ مَدْحِ الْمُتَمَلِّقِينَ؛ لِأَنَّ نَصِيحَةَ النَّاصِحِ كَسَحَابٍ مُظْلِمٍ مُرْعِدٍ يَمْطُرُ مِنْهُ سَائِلُ الْحَيَاةِ، وَمَدْحَ الْمُتَمَلِّقِ كَسَمٍّ قَاتِلٍ مَمْزُوجٍ بِدِبْسٍ لَذِيذٍ. أَنْتَ مِنَ الْمَرْجُوِّينَ عِنْدِي؛ فَزَيِّدِ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُعْتَبَرُ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ أَنْصَارِ الْمَهْدِيِّ حَتَّى يَكُونَ أَعْلَمَ وَأَعْمَلَ رَجُلٍ فِي بَلَدِهِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

الرسالة الرابعة عشرة

جزء من رسالة جنابه فيها يدعو إلى حكومة اللّه تعالى ويحذّر من حكومة غيره.

أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا مِنِّي، إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ؛ فَإِنِّي أَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا: إِنَّمَا مَثَلُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ طِفْلٍ ضَلَّ وَالِدَتَهُ فِي زِحَامٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَعَلَى أَمَلِ الْعُثُورِ عَلَيْهَا، يَأْخُذُ بِحُجْزَةِ كُلِّ امْرَأَةٍ وَيَتْبَعُهَا حِينًا، حَتَّى إِذَا أَحَسَّ مِنْهَا جَفْوَةً وَعَلِمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ وَالِدَتَهُ، تَرَكَهَا وَتَعَلَّقَ بِحُجْزَةٍ أُخْرَى، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَتْهُ فَحْمَةُ اللَّيْلِ وَأَهْلَكَتْهُ صِرَّتُهُ، وَمَا لَهُ مِنْ نَصِيرٍ! لَقَدْ كَانَ هَذَا مَثَلَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذْ تَعَلَّقْتُمْ بِكُلِّ حُكُومَةٍ وَاتَّبَعْتُمُوهَا لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، آمِلِينَ لِتَيْلِ الْعَدْلِ، حَتَّى إِذَا لَقِيتُمْ مِنْهَا ظُلْمًا وَعَلِمْتُمْ أَنَّهَا غَيْرُ ذَاتِ عَدْلٍ، أَطَحْتُمُوهَا صَارِخِينَ وَتَحَوَّلْتُمْ إِلَى حُكُومَةٍ أُخْرَى! فَهَكَذَا فِي طَلَبِ الْعَدْلِ قَدْ مِلْتُمْ أَحْيَانًا إِلَى الشَّرْقِ وَأَحْيَانًا إِلَى الْغَرْبِ، وَهَرَعْتُمْ أَحْيَانًا إِلَى الْيَمِينِ وَأَحْيَانًا إِلَى الشِّمَالِ، وَأَقْبَلْتُمْ أَحْيَانًا عَلَى زَيْدٍ وَأَحْيَانًا عَلَى عَمْرٍو، وَتَعَلَّقْتُمْ أَحْيَانًا بِالْمَلِكِيَّةِ وَأَحْيَانًا بِالْجُمْهُورِيَّةِ! مَعَ أَنَّ الْعَدْلَ لَمْ يَكُنْ فِي الشَّرْقِ وَلَا فِي الْغَرْبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْيَمِينِ وَلَا فِي الشِّمَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَيْدٍ وَلَا فِي عَمْرٍو، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَلِكِيَّةِ وَلَا فِي الْجُمْهُورِيَّةِ! إِنَّمَا كَانَ الْعَدْلُ فِي حُكُومَةِ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ أَقْدَارَكُمْ وَمَوَاضِعَكُمْ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا غَيْرُهُ مَهْمَا بَالَغَ فِي الْفَحْصِ وَالْجَهْدِ، إِلَّا مَنْ جَعَلَهُ مَهْدِيًّا إِلَيْهَا، لَكِنَّكُمْ يَئِسْتُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَغَفَلْتُمْ عَنْ مَهْدِيِّهِ، فَسَلَّمْتُمُ الْحُكُومَةَ الَّتِي رَضِيَهَا لِمَهْدِيِّهِ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَرْضَ لَهُمْ حُكُومَةً!

كَأَنَّ الْحُكُومَةَ مِيرَاثُ آبَائِكُمْ، إِذْ تَنْزِعُونَهَا مِمَّنْ تَشَاؤُونَ وَتُؤْتُونَهَا مَنْ تَشَاؤُونَ، وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ لِلَّهِ الَّذِي يَقُولُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾[١]، وَهُوَ قَدْ آتَاهَا إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلَهَا عَهْدًا إِلَى الَّذِينَ لَا يَظْلِمُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢]، وَالَّذِينَ لَا يَظْلِمُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ هُمُ الَّذِينَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُذْهِبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[٣]، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ مَهْدِيَّ اللَّهِ هُوَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكُلُّ مَنِ اخْتَارَ حَاكِمًا غَيْرَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا.

مِنَ الْعَجَبِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ بَايَعُوا فِي كُلِّ زَمَانٍ أَحَدًا وَعَقَدُوا لَهُ وِلَايَةً، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَقْوَى عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ وَقَوَّاهُ لِذَلِكَ! إِنَّهُمْ طَلَبُوا الْعَدْلَ عِنْدَ رِجَالٍ لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدَهُمْ، وَتَوَقَّعُوا مِنْ حُكَّامِهِمْ عَمَلًا لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَيْهِ! كَيْفَ يَعْدِلُ فِي النَّاسِ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَقْدَارَهُمْ وَلَا يَعْرِفُ مَوَاضِعَهُمْ، بَلْ لَمْ يَقِفْ عَلَى قَدْرِ نَفْسِهِ وَهُوَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؟! كَيْفَ يَعْدِلُ مَنْ هُوَ ظَالِمٌ، وَقَدِ احْتَلَّ مَكَانَ غَيْرِهِ، وَكَيْفَ يُصْلِحُ مَنْ هُوَ فَاسِدٌ، وَقَدْ جَرَّ الْعَالَمَ إِلَى الْفَسَادِ؟! أَفَلَمْ يَسِرِ النَّاسُ فِي الْأَرْضِ وَيَنْظُرُوا فِي مَصِيرِ آبَائِهِمْ، أَنْ قَدْ خَضَعُوا لِكُلِّ حُكُومَةٍ وَقَبَّلُوا يَدَيْ كُلِّ حَاكِمٍ، مُتَسَوِّلِينَ لِجُرْعَةٍ مِنَ الْعَدْلِ، وَلَكِنْ لَمْ يَرْحَمْ أَحَدٌ عَطَشَهُمْ وَلَمْ يَسْقِهِمْ جُرْعَةً مِنَ الْعَدْلِ؟! مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا وَاللَّهِ أَشَدَّ عَطَشًا مِنْ أَنْ تُرْوِيَهُمْ جُرْعَةٌ، وَلَا يُرْوِيهِمْ إِلَّا نَهْرٌ عَظِيمٌ! فَلِمَاذَا مُنْذُ أَوَّلِ يَوْمٍ لَمْ يَزَلْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مَحْكُومِينَ عَلَيْهِمْ، وَأَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ حَاكِمِينَ؟!

---

١. آل عمران/ ٢٦
٢. البقرة/ ١٢٤
٣. انظر: الأحزاب/ ٣٣.

وَأَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ قَاعِدِينَ فِي الْبُيُوتِ، وَأَبْنَاءُ الْأَدْعِيَاءِ قَاعِدِينَ عَلَى الْمَنَابِرِ؟! أَئِمَّةُ الْإِيمَانِ مَخْذُولِينَ، وَأَئِمَّةُ الْكُفْرِ مَنْصُورِينَ؟! إِنْ كَانَ هُنَاكَ قَصْرٌ فَقَدْ كَانَ لِلظَّالِمِينَ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ كُوخٌ فَقَدْ كَانَ لِلطَّاهِرِينَ! إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ قُوَّةٌ فَقَدْ كَانَتْ لِلْمُشْرِكِينَ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ هِجْرَةٌ فَقَدْ كَانَتْ لِلنَّبِيِّينَ! إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ بَيْعَةٌ فَقَدْ كَانَتْ لِلْيَزِيدِيِّينَ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ شَهَادَةٌ فَقَدْ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِيِّينَ! إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ دَوْلَةٌ فَقَدْ كَانَتْ لِلضَّالِّينَ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ غَيْبَةٌ فَقَدْ كَانَتْ لِلْمَهْدِيِّينَ! مَا هَذِهِ الْفَضِيحَةُ الَّتِي قَدْ عَمَّتِ التَّارِيخَ، وَمَا هَذَا الْجُنُونُ الَّذِي قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَى الْعَالَمِ؟! أَلَيْسَ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ لِيُبْصِرُوا بِهَا أَنَّ حُكَّامَهُمْ جَمِيعًا يَظْلِمُونَ وَلَا يَعْدِلُونَ؟! أَوْ لَيْسَ لَهُمْ آذَانٌ لِيَسْمَعُوا بِهَا أَنَّ سَاسَتَهُمْ جَمِيعًا يَكْذِبُونَ وَلَا يَصْدُقُونَ؟! أَوْ لَيْسَ لَهُمْ ذَكَاءٌ لِيَفْطَنُوا بِهِ أَنَّ قَادَتَهُمْ جَمِيعًا يُضِلُّونَ وَلَا يَهْدُونَ؟! فَإِلَى مَتَى يَظِلُّ هَذَا الْجُرْحُ الْمُتَقَيِّحُ مَفْتُوحًا، وَإِلَى مَتَى يَسْتَمِرُّ هَذَا الْجُنُونُ؟! أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَخْبِرُونِي إِلَى مَتَى يَجِبُ أَنْ تَتَمَايَلُوا يَمِينًا وَشِمَالًا كَرَجُلٍ سِكِّيرٍ، حَتَّى تَفْقَهُوا أَنَّ الْيَمِينَ وَالشِّمَالَ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ فِي أَيٍّ مِنْهُمَا الْعَدْلُ؟! أَخْبِرُونِي كَمْ حُكُومَةً أُخْرَى يَجِبُ أَنْ تُجَرِّبُوهَا، وَكَمْ طَاعَةً أُخْرَى يَجِبُ أَنْ تُعَوِّضُوهَا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَا حُكُومَةَ غَيْرَ حُكُومَةِ اللَّهِ تُوصِلُكُمْ إِلَى الْعَدْلِ، وَلَا طَاعَةَ غَيْرَ طَاعَةِ اللَّهِ تُنْجِيكُمْ مِنَ الظُّلْمِ؟! أَلَمْ تَكْفِكُمْ هَذِهِ التَّجْرِبَةُ الْبَالِغَةُ آلَافَ السِّنِينَ؟! أَلَمْ تَكْفِكُمْ هَذِهِ الْغَرَامَاتُ الْبَاهِظَةُ؟! أَلَمْ تَسْمَعُوا النَّمَارِدَةَ وَالْفَرَاعِنَةَ؟! أَلَمْ تَتَحَمَّلُوا الْأَكَاسِرَةَ وَالْقَيَاصِرَةَ؟! أَلَمْ تَرَوُا الْخُلَفَاءَ وَالْمُلُوكَ؟! أَلَمْ تُجَرِّبُوا الْجُمْهُورِيَّاتِ وَالْإِسْلَامِيَّاتِ؟! أَفَلَمْ تَعْتَبِرُوا بَعْدُ؟! إِلَى مَتَى تُمَلِّحُونَ هَذَا الْجُرْحَ الْقَدِيمَ؟! وَإِلَى مَتَى تُوَاصِلُونَ هَذَا الْجُنُونَ التَّارِيخِيَّ؟!

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ يَسْفِكُونَ دِمَاءَ الْمَظْلُومِينَ لِكَسْبِ السُّلْطَةِ وَحِفْظِهَا! أَلَا يَا أَيُّهَا الْفُقَهَاءُ وَالشُّيُوخُ الْمُرَاؤُونَ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمْ عُمَّالَ اللَّهِ وَأُولِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ! أَلَا يَا أَيُّهَا السِّيَاسِيُّونَ الطَّامِعُونَ الَّذِينَ يَتَزَاحَمُونَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْحُكُومَةِ! أَلَا يَا أَيُّهَا الْأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ الْمَاكِرَةُ الَّتِي لَا تَبْتَغِي شَيْئًا سِوَى السُّلْطَةِ! أَلَا يَا أَيَّتُهَا الْفِرَقُ وَالْعِصَابَاتُ الْمُفْسِدَةُ الَّتِي تَسْعَى فِي الْأَرْضِ لِنَيْلِ الْعُلُوِّ! كُفُّوا عَنِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ الْمَنْكُوبِينَ، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَاحِبِهِمْ! أَلَمْ يَكْفِ آلَافُ السِّنِينَ مِنَ الْجَوْرِ وَالْإِفْسَادِ؟! أَلَمْ يَكْفِ تَارِيخٌ مِنَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ؟! أَلَمْ تَسْأَمُوا مِنْ إِثَارَةِ الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ طَوَالَ هَذَا الْوَقْتِ الطَّوِيلِ؟! فَمَتَى تَنْتَهُونَ عَنْ هَذِهِ اللُّعْبَةِ الصِّبْيَانِيَّةِ؟! فَمَتَى تَتَوَقَّفُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ الْمُتَكَرِّرَةِ؟!

الْآنَ قَدِّمُوا إِلَيَّ آذَانَكُمْ لِتَسْمَعُوا؛ فَإِنِّي مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ: أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى أَصْلِكُمْ؟! أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا عَهْدَ اللَّهِ إِلَى أَبِيكُمْ آدَمَ؟! أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ أَنْ تَرُدُّوا الْأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا وَتُسَلِّمُوا الْحُكُومَةَ إِلَى صَاحِبِهَا؟! هَلْ مَا زِلْتُمْ تَأْمُلُونَ فِي هَذِهِ الْحُكُومَاتِ الْمُتَلَوِّنَةِ؟! هَلْ مَا زِلْتُمْ تَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَوْ جَاءَ عَمْرٌو مَكَانَ زَيْدٍ لَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ؟! كَمْ مِنْ عَمْرٍو جَاءَ مَكَانَ زَيْدٍ، فَلَمْ تَسْتَقِمِ الْأُمُورُ؛ لِأَنَّ اسْتِقَامَتَهَا كَانَتْ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ! فَإِلَى مَتَى تَقْعُدُونَ آمِلِينَ فِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَتَرْفَعُونَ رَايَةَ كَذَا وَكَذَا؟! إِلَى مَتَى تُذِلُّونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُقَبِّلُونَ أَيْدِي الرِّجَالِ؟! إِلَى مَتَى يَغُرُّكُمُ الْوُعُودُ الْكَاذِبَةُ، وَيَلْعَبُ بِكُمُ الْآمَالُ الْبَعِيدَةُ؟! إِلَى مَتَى تَدُورُونَ حَوْلَ مِحْوَرٍ وَاحِدٍ كَحُمُرِ الطَّاحُونَةِ، وَتَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ تَتَقَدَّمُونَ؟!

أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ! مَا بَالُكُمْ قَدْ أَعْطَيْتُمْ ظُهُورَكُمْ لِكُلِّ حَيَوَانٍ نَاقِصٍ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ، وَلَمْ تُعْطُوا أَكُفَّكُمْ لِلْإِنْسَانِ الْكَامِلِ؟! مَا بَالُكُمْ قَدْ مَصَصْتُمْ كُلَّ ثَمْدٍ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ، وَتَرَكْتُمُ الْبَحْرَ الْفُرَاتَ؟! مَا بَالُكُمْ قَدْ سَعَيْتُمْ إِلَى كُلِّ سَرَابٍ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ، وَلَمْ تَخْطُوا خُطْوَةً نَحْوَ الْمَاءِ السَّائِغِ؟! أَلَنْ تَسْتَعِيدُوا وَعْيَكُمْ، وَلن تَرْجِعُوا إِلَى أَصْلِكُمْ؟! أَلَنْ تَنْتَبِهُوا مِنَ النَّوْمِ، وَلَنْ يَنْتَهِيَ هَذَا الْكَابُوسُ؟! أَلَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الظُّلُمَاتِ، وَلَنْ يَكُونَ لِهَذَا اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَجْرٌ؟! أَلَنْ تُفِيقُوا مِنَ السُّكْرِ، وَلَنْ يَتْرُكَ الرَّأْسَ هَذَا الدُّوَارُ؟! أَلَنْ تَفْتَحُوا أَعْيُنَكُمْ، وَتَتَحَرَّكُوا فَجْأَةً، وَتَقُومُوا عَلَى أَرْجُلِكُمْ؟! أَلَنْ تَرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، وَلَنْ تَرَوْا إِلَّا مَا يُحَاذِي أَقْدَامَكُمْ؟! أَرَاكُمْ قَدْ رَضِعْتُمْ مِنْ ثَدْيِ الْجَهْلِ، وَنَشَأْتُمْ فِي حِجْرِ الظُّلْمِ، وَلَا يَعْرِفُنِي لُحُومُكُمْ وَدِمَاؤُكُمْ! فَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ عَدَمُ مَعْرِفَتِي عَلَى أَنْ لَا تُجِيبُوا دَعْوَتِي؛ لِأَنِّي أَخُوكُمُ النَّاصِحُ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَقِّ، فَاسْمَعُوا نِدَائِي حِينَ أُنَادِيكُمْ: عُودُوا، عُودُوا إِلَى الْإِسْلَامِ؛ فَقَدِ ابْتَعَدْتُمْ عَنْهُ كَثِيرًا! قَدْ فَارَقْتُمْ أَصْلَكُمْ، وَنَسِيتُمْ أَنْفُسَكُمْ! قَدْ تَرَكْتُمْ عُقُولَكُمْ، وَأَصْبَحْتُمْ كَأَمْثَالِ الصِّبْيَانِ وَالْمَجَانِينَ! قَدْ نَقَضْتُمْ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَضَيَّعْتُمْ مِيرَاثَ نَبِيِّهِ؛ الْعَهْدَ الَّذِي وَاثَقَ بِهِ أَبَاكُمْ إِبْرَاهِيمَ، وَالْمِيرَاثَ الَّذِي قَالَ فِيهِ نَبِيُّهُ: «مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي»[1]! فَضَيَّعْتُمُوهُ وَضَلَلْتُمْ بَعْدَهُ ضَلَالًا بَعِيدًا؛ حَتَّى تَرَكْتُمْ حَدِيقَةَ الْفَاكِهَةِ وَرَعَيْتُمُ الْأَرْضَ الشَّاكَةَ، وَهَجَرْتُمُ الْبَحْرَ الْعَذْبَ وَمَصَصْتُمُ الثَّمْدَ، وَجَانَبْتُمُ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ وَأَكَلْتُمُ الْمَيْتَةَ، وَنَبَذْتُمُ الْعَسَلَ الصَّافِي وَمَضَغْتُمُ الْحَنْظَلَ، وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ حُكُومَةِ اللَّهِ وَخَضَعْتُمْ لِحُكُومَةِ الشَّيْطَانِ!

---

١. إشارة إلى حديث الثقلين، وهو حديث متواتر رواه أكثر من ثلاثين صحابيًا، ونصّه الكامل: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي أُوشَكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ، فَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، نَبَّأَنِي بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

مَعَ أَنَّ حَدِيقَةَ الْفَاكِهَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ الشَّاكَةِ، وَالْبَحْرَ الْعَذْبَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الثَّمْدِ، وَالطَّعَامَ الطَّيِّبَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْمَيْتَةِ، وَالْعَسَلَ الصَّافِي خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْحَنْظَلِ، وَحُكُومَةَ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُكُومَةِ الشَّيْطَانِ!

إِيَّاكُمْ أَنْ تُفَوِّضُوا هِدَايَتَكُمْ إِلَى غَيْرِ الْمَهْدِيِّ؛ فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْأَلُ الْأَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَيُبْحِرُ بِسَفِينَةٍ مَخْرُوقَةٍ! فَهَلْ تَبْغُونَ حُكُومَةً غَيْرَ حُكُومَةِ اللهِ؟! وَالْعَدْلُ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي حُكُومَةِ اللهِ؛ الْحُكُومَةِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ عَلَى يَدَيْ خَلِيفَتِهِ الْمَهْدِيِّ، لَا عَلَى يَدَيْ غَيْرِهِ، وَالْخُلَفَاءُ وَالْمُلُوكُ وَالْفُقَهَاءُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي طَرِيقَةِ الظُّلْمِ، وَبَعْضُهُمْ يَضْطَهِدُونَ أَكْثَرَ مِنْ بَعْضٍ؛ كَأَمْثَالِ الْقَتَلَةِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ كُلُّهُمْ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ يَخْنُقُونَ، وَبَعْضَهُمْ يَذْبَحُونَ، وَبَعْضَهُمْ يَسْقُونَ السَّمَّ!

اسْتَمِعُوا لِقَوْلِي؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَسْمَعُوا قَوْلًا أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ: إِنَّ دُنْيَاكُمْ لَنْ تَسْتَقِيمَ إِلَّا بِالْعَدْلِ، وَآخِرَتَكُمْ لَنْ تَصْلُحَ إِلَّا بِالْعَدْلِ، وَالْعَدْلَ لَنْ يُمْكِنَ إِلَّا بِحُكُومَةِ الْمَهْدِيِّ، وَحُكُومَةَ الْمَهْدِيِّ لَنْ تَتَشَكَّلَ إِلَّا بِتَعَاوُنٍ مِنْكُمْ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَعْلَمُونَ!

شرح الرسالة:

يا عبد اللّه! إن لم يعمَ قلبك بعدُ في ظلمات الفتن، فانظر في هذه النصيحة المنيرة، لتجد سبيل النجاة، وتعرف الهادي إليها، وتعلم أنّ دعوته هي الحقّ المبين، وكلّ دعوة غيرها في زماننا هذا هي دعوة ضلال. ثمّ اقرأها على كلّ قريب منك، وأوصلها إلى سمع سائر الناس بقدر ما تستطيع، لعلّهم يجيبونها كما أجبتها، ويتوقّفون عن التعاون لحفظ حكومة الطواغيت، ويتحوّلون إلى التعاون لإنشاء حكومة اللّه، ويمهّدون الطريق لظهور خليفة اللّه المهديّ بأموالهم وأنفسهم، ويصلون إلى سعادة الدّنيا والآخرة بعد شقوة طال أمدها.

لمزيد المعرفة عن هذا، راجع: كتاب «هندسة العدل»، وكتاب «العودة إلى الإسلام»، مبحث «حاكميّة غير اللّه»، ومبحث «المهديّ آخر خلفاء النّبيّ».

الرسالة الخامسة عشرة

رسالتان من جنابه في أحكام الخمس

١ . أَخْبَرَنَا عَبْدُ الشَّكُورِ بْنُ زُلْمَيَ الْوَرْدَكِيُّ، قَالَ: كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ بَامِيَانَ، وَكَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْكَنْزِ، فَدَعَانِي إِلَى ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِي نِصْفُهُ، فَقُلْتُ: حَتَّى أَسْأَلَ الْمَنْصُورَ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ: لَا يَبْحَثُ عَنِ الْكَنْزِ إِلَّا سَفِيهٌ، وَمَنْ وَجَدَهُ فَلْيُؤَدِّ خُمُسَهُ، فَإِنَّهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ.

٢ . أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ الطَّبَرِيُّ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَسْأَلُهُ عَمَّا يَجِبُ فِيهِ الْخُمُسُ، فَكَتَبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ: اعْلَمْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَنَّ كُلَّ مَا يَرْزُقُكَ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ فَفِيهِ الْخُمُسُ، كَالْغَنِيمَةِ، وَالْكَنْزِ، وَالْمَعْدِنِ، وَالْحِلْيَةِ الَّتِي تَسْتَخْرِجُهَا مِنَ الْبَحْرِ، وَالْهِبَةِ، وَالْجَائِزَةِ، وَالْفَائِدَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَفْضُلُ عَنْ مَؤُونَتِكَ، وَالْمِيرَاثِ الَّذِي لَا تَحْتَسِبُهُ مِنَ الْبَعِيدِ، وَالْمَالِ الَّذِي تَكْنِزُهُ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ وَلَا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، فَعَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْخُمُسُ تُخْرِجُهُ إِلَى خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ، إِنْ كُنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

شرح الرسالة:

لقراءة شرح هذه الرسالة، راجع: الموقع الإعلامي لمكتب المنصور الهاشميّ الخراسانيّ > قسم «الأسئلة والأجوبة» > السؤال والجواب ١٨٦.

الرسالة السادسة عشرة

رسالة نافعة من جنابه تحتوي على ثلاثين وصيّة أخلاقيّة.

أخبرنا بعض أصحابنا، قال: كتبت إلى المنصور الهاشمي الخراساني أيّده الله تعالى، فسألته أن يكتب لي كلّ ما يجب عليّ القيام به بعد معرفة الحقّ ونصرته حتّى أكون من المفلحين، فكتب إليّ:

[١] أَقِمِ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا.

[٢] لَا تَتْرُكْ نَافِلَةَ اللَّيْلِ، وَاجْتَهِدْ بِالْأَسْحَارِ فِي الْإِسْتِغْفَارِ.

[٣] إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَغْفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً فَلَا تَغْفَلْ؛ فَإِنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِهِ أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ.

[٤] اذْكُرِ الْمَوْتَ كَثِيرًا، وَزُرِ الْقُبُورَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا.

[٥] صُمِ الْخَمِيسَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ وَآخِرِهِ وَالْأَرْبَعَاءَ مِنْ وَسَطِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ.

[٦] تَصَدَّقْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُكَفِّرُ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ.

[٧] أَحْسِنْ بِوَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَسَاءَا إِلَيْكَ؛ فَقَدْ أَحْسَنَا بِكَ عَلَى قَدْرِ الْكِفَايَةِ.

[٨] لَا تَقْطَعْ رَحِمَكَ، وَإِنْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِمِثْلِ شَعْرَةٍ.

[٩] لَا تَكْذِبْ، إِلَّا أَنْ تَخَافَ أَنْ تُقْتَلَ، أَوْ يُقْتَلَ أَحَدٌ بِسَبَبِكَ.

[١٠] لَا تَغْتَبْ، إِلَّا كَافِرًا أَوْ فَاسِقًا، وَإِذَا نَقَمْتَ مِنْ غَائِبٍ شَيْئًا فَقُلْ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا أَوْ يَقُولُونَ كَذَا، وَلَا تَأْتِ بِاسْمِهِ.

[١١] إِيَّاكَ وَالْجِدَالَ، وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا، بَلْ هَاتِ بُرْهَانَكَ وَاسْكُتْ، وَإِنِ اتُّهِمْتَ بِأَنَّكَ غُلِبْتَ.

[١٢] أَقِرَّ بِخَطَإِكَ، وَإِنْ رَغَمَ أَنْفُكَ.

[١٣] انْهَ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ تَجِدُهُ، وَأْمُرْ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ تَفْقِدُهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِفْتَاحُ إِصْلَاحِ الْعَالَمِ.

[١٤] لَا تُكْثِرْ مِنَ الْكَلَامِ تَسْلَمْ؛ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ لَا يَخْلُو مِنْ عَيْبٍ.

[١٥] لَا تَمْزَحْ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ حَقًّا.

[١٦] لَا تَسُبَّ أَحَدًا وَلَا تَبْهَتْهُ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقًّا لِلْقَتْلِ.

[١٧] أَنْجِزْ وَعْدَكَ، وَإِنْ كَانَ لِصَبِيٍّ.

[١٨] لَا تَفْضَحْ مُؤْمِنًا، فَتُفْضَحُ.

[١٩] لَا تَغْضَبْ، إِلَّا كَاظِمًا؛ فَإِنَّ الْغَضَبَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ.

[٢٠] لَا تُحْرِجِ النَّاسَ لِكَيْ لَا يُحْرِجُوكَ؛ أَيْ لَا تَبْحَثْ عَنِ الْعَثْرَةِ، وَلَا تَأْخُذْ بِالدِّقَّةِ، وَلَا تَقَعْ فِي الشَّمَاتَةِ، وَلَا تُبَادِرْ لِلْمُعَاقَبَةِ.

[٢١] لَا تُوكِلْ عَمَلَكَ لِغَيْرِكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ عَاجِزًا.

[٢٢] لَا تَمْلَأْ بَطْنَكَ، وَلَا تَأْكُلْ مَا لَا يُلَائِمُ طَبْعَكَ.

[٢٣] غَرِيزَتُكَ الْجِنْسِيَّةُ وَحْشٌ جَائِعٌ نَائِمٌ. إِيَّاكَ أَنْ تُوقِظَهَا فَتَأْكُلَكَ.

[٢٤] لَا تُبْدِ رَأْيًا فِيمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَتَأْتِي بِسَخِيفِ الْقَوْلِ.

[٢٥] لَا تَنَمْ أَقَلَّ مِنْ خَمْسِ سَاعَاتٍ، وَلَا أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِيَ سَاعَاتٍ، فَتُضِرَّ بِنَفْسِكَ.

[٢٦] لَا تُخْبِرْ بِكُلِّ مَا تَسْمَعُهُ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ كَذِبًا.

[٢٧] وَقْتُكَ أَثْمَنُ مِنَ الْمَاسِ؛ فَلَا تَصْرِفْهُ فِي اللَّعْبِ، وَلَا فِي عَمَلٍ لَا يَنْفَعُ.

[٢٨] عَلَيْكَ بِالتَّعَلُّمِ، فَلَا يَزَالُ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَا تَعْلَمُهُ.

[٢٩] عَلَيْكَ بِالرِّيَاضَةِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ.

[٣٠] كُنْ نَظِيفًا وَمُتَجَمِّلًا، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ صَحِيفَةٌ.

أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَكَ التَّوْفِيقَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى كُلِّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

شرح الرسالة:

ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يعرفوا قيمة هذه الرسالة القيّمة، ويتّخذوها برنامجًا لتزكية أنفسهم، حتّى يتقرّبوا إلى اللّه تعالى، ويستعدّوا لنصرة خليفته الإمام المهديّ عليه السلام.

الرسالة السابعة عشرة

جزء من رسالة جنابه يذكر فيها أهل بومبي، وينذر المتّبعين للشّهوات.

أَلَا يَعْتَبِرُ الَّذِينَ يَسْكَرُونَ مِنْ خَمْرِ الشَّهَوَاتِ وَيَنْغَمِسُونَ فِي مُسْتَنْقَعِ اللَّذَّاتِ بِعَاقِبَةِ بُومْبِي؟! كَأَنِّي أَسْمَعُ قَهْقَهَةَ أَهْلِهَا الطَّائِشَةَ، إِذْ يَتَعَاطُونَ بَيْنَهُمُ الْكُؤُوسَ، وَيَرْقُصُونَ مِنْ فَرْطِ الطَّرَبِ، وَيُلَامِسُونَ النِّسْوَةَ الْحِسَانَ، وَيُنَادُونَ أَنِ اشْرَبُوا وَتَمَتَّعُوا، وَلْيَبْتَعِدْ عَنْكُمُ الْمَوْتُ! فَبَغْتَةً فِي يَوْمٍ صَيْفِيٍّ، بَيْنَمَا هُمْ مُسْتَرِيحُونَ عَلَى شَوَاطِئِ نَابُولِي، إِذْ سَمِعُوا صَيْحَةً مِنْ جَبَلِ فِيزُوفَ، وَرَأَوْا نَارًا تَسْعَى إِلَيْهِمْ، بِلَهِيبٍ يَطْبَخُ اللُّحُومَ، وَدُخَانٍ يَقْطَعُ الْأَنْفَاسَ، وَحُطَامٍ يَكْسِرُ الْعِظَامَ، وَظُلْمَةٍ تَجْعَلُ النَّهَارَ لَيْلًا! فَلَمْ يَجِدُوا فُرْصَةً لِلْفِرَارِ، بَلْ لَمْ يَجِدُوا فُرْصَةً لِلْقِيَامِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمُ انْقَلَبُوا إِلَى لَبِنٍ مَطْبُوخَةٍ، وَانْدَفَنُوا فِي رَمَادٍ سَاخِنٍ، وَأَنْتُمُ الْآنَ تَرَوْنَهُمْ قَدْ بَرَزُوا مِنَ الْأَرْضِ كَتَمَاثِيلَ قَدِيمَةٍ، وَطُرِحُوا عَلَى الطَّرِيقِ كَجِرَارٍ مَكْسُورَةٍ!

شرح الرسالة:

بومبي هو اسم مدينة بالقرب من خليج نابولي في إيطاليا، كانت ذات يوم مكانًا لترفّه الرّوم ولهوهم، فزالت عن الأرض في عام ٧٩ بعد الميلاد بعد ثوران بركان فيزوف، ثمّ خرجت منها بعد ١٥٢٠ عام في عام ١٥٩٩ بعد الميلاد، وقد كانت تشاهد جثث سكّانها متحجّرة على نفس هيئاتهم وأشكالهم، ممّا يدلّ على أنّهم لم يجدوا فرصة للهروب، بل لم يجدوا فرصة للنهوض. فيذكّر جنابه حفظه اللّه تعالى في هذه الفقرة من رسالته المنيرة بمصيرهم، ويدعو الذين ينقادون للشّهوات ويخوضون في اللذّات غير الشرعيّة على منوالهم إلى أن يعتبروا بعاقبتهم، ولا يروا أنفسهم في أمن من عذاب اللّه المفاجئ والرهيب.

فيما يلي صور من الجثث المتحجّرة لسكّان بومبي:

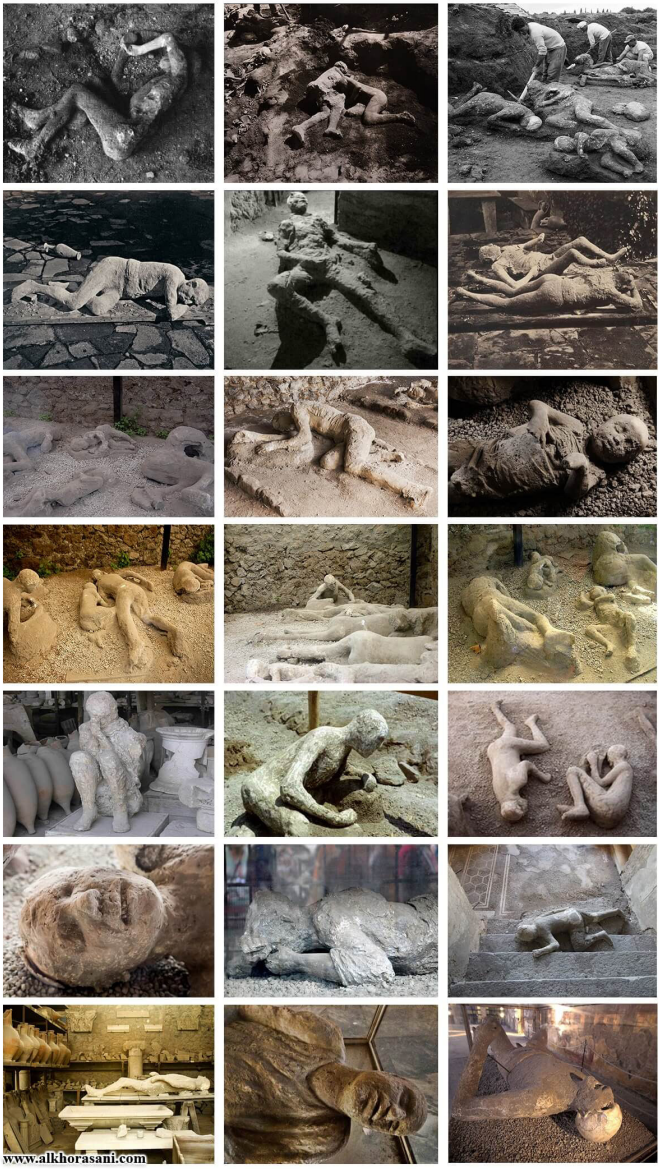

الرسالة الثامنة عشرة

رسالة من جنابه حول الحداد على أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأحكامه

أَخْبَرَنَا وَلِيدُ بْنُ مَحْمُودٍ السِّجِسْتَانِيُّ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الْمَنْصُورِ الْهَاشِمِيِّ الْخُرَاسَانِيِّ أَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُ النَّاسُ فِي الْحِدَادِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ: لَا بَأْسَ بِذِكْرِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَوَصْفِ أَعْمَالِهِمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِالْحَقِّ، وَيَحْرُمُ الْكِذْبُ فِيهِمْ وَالْإِفْتِرَاءُ عَلَيْهِمْ قَطْعًا، وَلَا بَأْسَ بِالْبُكَاءِ عَلَى مَصَائِبِهِمْ وَإِنْشَادِ الشِّعْرِ فِيهِمْ إِذَا كَانَ صِدْقًا، وَيُكْرَهُ ضَرْبُ الرُّؤُوسِ وَالْخُدُودِ وَالصُّدُورِ وَالظُّهُورِ كَمَا يَفْعَلُ الْعَامَّةُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ»، وَإِنَّمَا الْمَرْغُوبُ فِيهِ الْبُكَاءُ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ مَشْرُوعٌ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَمِنَ الْقَلْبِ فَمِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنَ الرَّحْمَةِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَمِنَ اللِّسَانِ فَمِنَ الشَّيْطَانِ»، وَكَذَلِكَ الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ بِآلَاتِ اللَّهْوِ مَعَ الرَّايَاتِ وَالْأَعْلَامِ الْمُبْتَدَعَةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ سَبِيلُهَا إِلَى النَّارِ، وَلَا بَأْسَ بِالْإِجْتِمَاعِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ لِمَدْحِهِمْ وَذِكْرِ مَصَائِبِهِمْ وَالْبُكَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْزِيَةِ ذَوِي مَوَدَّتِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ كِذْبٌ أَوْ فُحْشٌ أَوْ ضَرْبٌ أَوْ جَرْحٌ أَوْ تَبْذِيرٌ أَوْ تَأْخِيرُ صَلَاةٍ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا،

وَقَدْ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَذَكَرَ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَمَدَحَهَا وَبَكَى عَلَيْهَا، وَحَثَّ عَلَى الْبُكَاءِ عَلَى حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَكَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَدَحَتْهُ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُمْدَحُ عِنْدَ قَبْرِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ فَلَا يَنْهَى عَنْهُ، فَكُلُّ هَذَا سُنَّةٌ، وَإِنَّمَا الْحَرَامُ الْبِدْعَةُ.

شرح الرسالة:

مراد المستفتي بـ«الناس» في قوله: «يَفْعَلُ النَّاسُ فِي الْحِدَادِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» الشيعة، وهم مراد السيّد المنصور حفظه اللّه تعالى بـ«العامّة» في قوله: «كَمَا يَفْعَلُ الْعَامَّةُ»؛ فإنّهم في الحداد على الحسين بن عليّ وغيره من أئمّة أهل البيت الذين استشهدوا على أيدي الظالمين يقومون بضرب أبدانهم وجرحها وإنشاد الأشعار المليئة بالكذب والغلوّ، ممّا قد نهى عنه النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأئمّة أهل بيته في الأخبار المتواترة، وقد ذكر بعضها السيّد المنصور حفظه اللّه تعالى على سبيل المثال، فنهى عمّا نهوا عنه، بعد أن رخّص فيما أباحوه حذو القذّة بالقذّة، دون أيّ إفراط أو تفريط، حتّى يقدّم شاهدًا آخر على أنّه هو «النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى» التي ذكرها في بعض حِكمه إذ قال: «أَمَّا نَحْنُ فَالنُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى، يَلْحَقُ بِنَا التَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْنَا الْغَالِي»[1]، وقد صدق، ومراد جنابه بـ«الْأَعْلَامِ الْمُبْتَدَعَةِ» هياكل معدنيّة ثقيلة على شكل صليب، لها من فوقها فروع وأقمشة وتماثيل منصوبة يحملها جهلة القوم.

لمزيد المعرفة عن رأي جنابه حول الحداد على أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم وأحكامه، راجع الموقع الإعلامي لمكتب جنابه > قسم «الأقوال» > القول ٤١ من أقواله الطيّبة.

---

١ . راجع: الموقع الإعلامي لمكتب المنصور الهاشميّ الخراسانيّ > قسم «الأقوال» > الفقرة ٢ من القول ٣٨.

الرسالة التاسعة عشرة

جزء من رسالة جنابه يذكر فيها عاقبة الذين من قبل وينذر حكّام البلاد.

أَلَا يَا حُكَّامَ الْأَرْضِ الَّذِينَ يُبَاهُونَ بِسُلْطَتِهِمْ، وَيَغْتَرُّونَ بِجُنُودِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حَاكِمُونَ إِلَى الْأَبَدِ! احْذَرُوا اللَّهَ الَّذِي الْحُكْمُ لَائِقٌ بِهِ، وَقَدْ أَقَامَتْ سُلْطَتُهُ الْعَالَمَ، وَمَلَأَتْ جُنُودُهُ وَأَسْلِحَتُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَإِنْ يَشَأْ يَخْسِفْ بِكُمُ الْأَرْضَ، حَتَّى تُخْرَجَ مِنْهَا أَحَافِيرُكُمْ بَعْدَ أَلْفِ أَلْفِ سَنَةٍ، فَلَا تُعْرَفَ مِنْ أَحَافِيرِ الزَّوَاحِفِ!

إِنَّهُ قَدْ دَسَّ فِي التُّرَابِ أُمَمًا كَثِيرَةً مِنْ قَبْلِكُمْ، أَوْ أَغْرَقَهَا فِي الْمَاءِ، بَلْ أَبَادَ حَضَارَاتٍ، وَغَيَّبَ قَارَّاتٍ! أَيْنَ حَضَارَةُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، الَّتِي كَانَتْ مَصْدَرَ الْأَسَاطِيرِ، وَأَيْنَ مَمْلَكَةُ فَارِسَ وَالرُّومِ الْمَجِيدَةُ؟! أَيْنَ بُنَاةُ أَهْرَامِ مِصْرَ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَرُصُّونَ الْأَحْجَارَ الْعَظِيمَةَ كَطُوبٍ صَغِيرَةٍ؟! أَيْنَ أَتْلَانْتِسُ، تِلْكَ الْقَارَّةُ الْمَفْقُودَةُ الَّتِي يَظُنُّونَ أَنَّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي وَقْتٍ؟! أَيْنَ الْأَقْوَامُ الْمَفْقُودَةُ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مَصِيرَهَا إِلَّا هُوَ؟! أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ نُمْرُودَ، وَنَبَذَ آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْيَمِّ، وَأَزَالَ عَادًا وَثَمُودَ مِنَ الْأَرْضِ، وَالَّذِينَ كَانَ يَسْجُدُ لَهُمْ سَبْعَةُ مُلُوكٍ وَيَحْمِلُ عُرُوشَهُمْ خَمْسُمِائَةِ عَبْدٍ، وَكَانَ لَهُمْ أَعْنَاقٌ رَفِيعَةٌ وَصُدُورٌ ضَخِيمَةٌ، وَيَصِلُونَ بِالذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ، وَيُجَهِّزُونَ جُنُودًا كَثِيفَةً، وَيَتَبَخْتَرُونَ فِي الْأَرْضِ وَيُغَنُّونَ: «نَحْنُ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَعْلَى مَكَانًا، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْلِبَنَا؟!»، فَغَلَبَهُمْ وَأَرْغَمَ أُنُوفَهُمْ، حَتَّى أَصْبَحُوا يَرْتَكِمُ عَلَى لُحُومِهِمُ الْخَنَافِسُ، وَيَبُولُ عَلَى عِظَامِهِمُ الْكِلَابُ!

فَالْآنَ مَنْ جَرَّأَكُمْ عَلَيْهِ أَنْ لَا تَخْضَعُونَ لَهُ، حِينَ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ لِتَنْقَادُوا لِحُكْمِهِ، فَلَا تَلْتَفِتُونَ إِلَيَّ، وَأَفْوَاهُكُمْ مِنِّي ضَاحِكَةٌ؟! هَلْ طَائِرَاتُكُمْ إِلَّا كِذِبَّانٍ تَثِبُ، وَهَلْ صَوَارِيخُكُمْ إِلَّا كَبَعُوضٍ تَلْسَعُ، وَهَلْ جُنُودُكُمْ إِلَّا كَنِمَالٍ تَدُبُّ؟! بِزَلْزَلَةٍ وَاحِدَةٍ يَنْهَارُ قُصُورُكُمْ، وَبِعَاصِفَةٍ وَاحِدَةٍ تَتَسَوَّى مُدُنُكُمْ، وَبِسَيْلٍ وَاحِدٍ يَنْطَمِسُ آثَارُكُمْ! أَيُّ سُلْطَةٍ تُنْجِيكُمْ وَأَيُّ جُنْدٍ وَسِلَاحٍ يَنْفَعُكُمْ، إِذَا شَاعَتْ بَيْنَكُمُ الْأَمْرَاضُ الْمُهْلِكَةُ، أَوْ غَارَتْ مِيَاهُكُمْ فِي الْأَرْضِ، أَوْ جَفَّتْ آبَارُ نَفْطِكُمْ وَغَازِكُمْ؟! إِنْ لَمْ يَنْزِلِ الْمَطَرُ فِيمَا بَعْدُ فَمَاذَا تَشْرَبُونَ، وَإِنْ لَمْ يَنْبُتِ النَّبَاتُ فِيمَا بَعْدُ فَمَاذَا تَأْكُلُونَ؟! إِنْ غَلَبَ عَلَى بُيُوتِكُمُ الْآفَةُ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَإِنِ اسْتَوْلَى عَلَيْكُمُ الْخَوْفُ فَكَيْفَ تَرْقُدُونَ؟! كَيْفَ تُهَدِّئُونَ أَطْفَالَكُمْ، وَكَيْفَ تُسَلُّونَ نِسَاءَكُمْ؟!

أَتَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَا يَمَسُّكُمْ ضُرٌّ إِنْ لَمْ تُسْلِمُوا لَهُ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مَكْرُوهٌ إِنْ لَمْ تَخْضَعُوا لِحُكْمِهِ؟! سَيُظِلُّكُمُ الْمَوْتُ، بَلْ مَا تَسْتَحِبُّونَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ! سَيُمَزِّقُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَسَيَتَّخِذُ بَعْضُكُمْ مِنْ جُلُودِ بَعْضٍ مَلَابِسَ! سَيَقْطَعُ الْأَبُ رَأْسَ الْإِبْنِ، وَسَيَأْكُلُ الْإِبْنُ لَحْمَ الْأَبِ! لَنْ يُوجَدَ فِي كُلِّ الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ عَفِيفَةٌ، وَلَا رَجُلٌ أَمِينٌ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَكُونُونَ زُنَاةً سَارِقِينَ! سَتَزْحَفُونَ فِي الْجُبِّ كَمَا تَزْحَفُ الدُّودَةُ، وَسَتَخُوضُونَ فِي الْوَحَلِ كَمَا يَخُوضُ الْخِنْزِيرُ! سَتَسُبُّونَ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ، وَسَتَتْفُلُونَ فِي وُجُوهِ إِخْوَانِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ! سَتَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَسَتَسْخَرُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ! سَتَسْجُدُونَ لِلشَّيْطَانِ، وَسَتَبْذُلُونَ النَّفْسَ لِلْبَطْنِ وَالْفَرْجِ! سَيُذِيبُ الْمَقْتُ أَبْدَانَكُمْ، وَسَيَنْقُصُ الْغَضَبُ أَرْوَاحَكُمْ! سَيَكُونُ وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ اثْنَيْنِ مَجْنُونًا، وَلَكِنْ لَنْ يُعْرَفَ أَيُّهُمَا هُوَ! سَيَكُونُ لِتُرَابِكُمْ رَائِحَةُ الْخِرَاءِ، وَلِمَائِكُمْ لَوْنُ الْبَوْلِ! سَتَصِيحُ السَّمَاءُ فَلَا يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا أَحَدٌ، وَسَتَقِيءُ الْأَرْضُ الدَّمَ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَحَدٌ! حَتَّى تَغْرَقُوا فِي رِجْسِكُمْ، وَتَسْتَحِيلُوا اسْتِحَالَةَ الْمَيْتَةِ فِي الْمِلْحِ! هَذَا خَيْرُ مَصِيرِكُمْ إِنْ لَمْ تُسْلِمُوا لِلَّهِ، وَهَذَا خَيْرُ عَاقِبَتِكُمْ إِنْ لَمْ تَخْضَعُوا لِحُكْمِهِ!

أَنَا أُنْذِرُكُمْ بِهَذَا الْمَصِيرِ لِكَيْ لَا تُصَابُوا بِهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ مِنْ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ لِكَيْ تَسْلَمُوا مِنْهَا، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّكُمْ رَاسِخُونَ فِي الْجَهَالَةِ، وَلَا تَحْمِلُونَ تَخْوِيفِي عَلَى الْجِدِّ؛ كَصَبِيٍّ يَلْعَبُ بِالنَّارِ، وَمَجْنُونٍ يَعْدُو إِلَى الْأَسَدِ! تَقُولُونَ لِأَنْفُسِكُمْ: «مَنْ هَذَا، وَمَاذَا يَقُولُ، وَمَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ؟!» فَتَصْدِفُونَ ضَاحِكِينَ! عَمَّا قَرِيبٍ سَتَعْلَمُونَ مَنْ أَنَا، وَمَاذَا أَقُولُ، وَمَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ، إِذَا ثَارَ بُرْكَانُ غَضَبِهِ، وَفَارَتْ حُمَمُ عَذَابِهِ، وَارْتَفَعَ دُخَانُ انْتِقَامِهِ، وَأَظْلَمَ عَلَيْكُمْ دُنْيَاكُمْ، وَبَدَّلَ ضَحْكَتَكُمْ بُكَاءً، وَبُكَاءَكُمْ عَوِيلًا! فَيَوْمَئِذٍ تَعْرِفُونَنِي، وَتَذْكُرُونَ قَوْلِي، وَتَلْعَنُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَتَقُولُونَ: «كَمْ كُنَّا جَاهِلِينَ وَغَافِلِينَ، وَكَمْ خَسِرْنَا وَشَقِينَا»!

وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِ خَلِيفَةِ اللَّهِ خَلِيفَةً وَمِنْ دُونِ وَلِيِّ اللَّهِ وَلِيًّا، وَيُطِيعُونَ مَنْ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ؛ فَعَمَّا قَرِيبٍ سَيَسْلُخُ جُلُودَهُمْ وَيَحْطِمُ عِظَامَهُمْ وَيُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ، وَمَا لَهُمْ مِنْ مُغِيثٍ! سَيَكُونُ لَهُمْ نَهِيقٌ كَنَهِيقِ الْحِمَارِ وَعُوَاءٌ كَعُوَاءِ الذِّئْبِ، حِينَ يَحْصِدُهُمْ مِنْجَلُ الْبَلَاءِ، وَتَطْحَنُهُمْ طَاحُونَةُ النَّكْبَةِ!

أَلَا يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ! إِنَّكَ قَضَيْتَ أَجَلَكَ، وَجُرِّبْتَ! لَوَّثْتَ الْأَرْضَ بِوَسَخِكَ، وَسَوَّدْتَ السَّمَاءَ بِدُخَانِكَ! لَا يُطَهِّرُ الْبِحَارُ نَجَاسَتَكَ، وَلَا يَسْتُرُ الْجِبَالُ عِظَمَ ذَنْبِكَ! يَدَاكَ مُلَطَّخَتَانِ بِالدَّمِ، وَمِنْ فَمِكَ تَنْدَلِعُ النَّارُ! أَغْرَقَتْ شَهْوَتُكَ الْمُدُنَ، وَأَحْرَقَ غَضَبُكَ الْقُرَى! قَدِ ارْتَكَبْتَ الْجِنَايَةَ لِأَجْلِ السُّلْطَةِ، وَبَادَرْتَ الْغَارَةَ لِأَجْلِ الثَّرْوَةِ! فَقُلْ لِي إِلَى مَتَى سَتَكُونُ طَاغِيًا هَكَذَا، وَإِلَى أَيْنَ سَتَسْقُطُ هَكَذَا؟! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَتَوَقَّفَ؟! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعُودَ؟!

أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اعْلَمُوا أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْكُمْ؛ إِنِّي أَسْمَعُ صَوْتَهُ وَأَشُمُّ رِيحَهُ وَأَرَى ظِلَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ غَافِلُونَ! إِنْ كَانَ لَكُمْ رَغْبَةٌ فِي النَّجَاةِ فَعِنْدِي نَصِيحَةٌ لَكُمْ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، وَأَطِيعُوا مَنْ طَهَّرَهُ وَهَدَاهُ، ذَلِكُمُ الَّذِي تَجِدُونَ صِفَتَهُ فِي صُحُفِ النَّبِيِّينَ، وَتَقْرَؤُونَ اسْمَهُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، دُونَ الَّذِي لَهُ عَقْلٌ قَلِيلٌ وَادِّعَاءٌ كَثِيرٌ، وَيَتَّبِعُ الْهَوَى، وَكَثِيرًا مَا يَسْتَبِدُّ وَيَطْلُبُ الْخُصُومَةَ. فَحِينَئِذٍ تَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْضَ تُمْلَأُ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا، وَالْعَدْلُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَأَنْظَفُ مِنَ الثَّلْجِ. فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ حُكْمَكُمْ لَنْ يُنْجِيَكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ جُنُودَكُمْ وَأَسْلِحَتَكُمْ لَنْ تَحْفَظَكُمْ مِنْهُ، كَمَا لَمْ يُنْجِ الْأَوَّلِينَ حُكْمُهُمْ، وَلَمْ يَحْفَظْهُمْ جُنُودُهُمْ وَأَسْلِحَتُهُمْ مِنْهُ، لَمَّا اشْتَعَلَ عَلَيْهِمْ غَضَبُهُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابُهُ!

الْآنَ أَيُّهَا الطُّغَاةُ! انْتَظِرُوا الْهَلَاكَ؛ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَّ اللَّهَ آتٍ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، وَلَكِنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَقُلْتُمْ أَنَّ السَّبِيلَ وَاسِعَةٌ! فَلَا جَرَمَ أَنَّهُ يَمُرُّ عَلَيْكُمْ فَيَطَأُكُمْ، ثُمَّ لَنْ تُوجَدُوا إِلَّا تَحْتَ التُّرَابِ وَبَيْنَ الْأَحْجَارِ وَالْجُذُورِ!

شرح الرسالة:

مراد جنابه بحكم اللّه في هذه الرسالة الشريفة حكومة اللّه في الأرض، وهي تتحقّق إذا تحقّقت حكومة خليفته فيها، ومراد جنابه بمن طهّره اللّه وهداه الإمام المهديّ عليه السلام، وهو الذي جاءت صفته في صحف النبيّين وجاء اسمه في أخبار المحدّثين من جميع المذاهب الإسلاميّة منذ القرن الأوّل، ويجب على المسلمين التمهيد لحكومته بدلًا من حكومة الآخرين، بطريقة بيّنها هذا العالم الصدّيق في كتابه الكبير «العودة إلى الإسلام» وكتابه الصغير «هندسة العدل»، فاستنكافهم عن ذلك يؤدّي إلى تلك العواقب الرهيبة التي وصفها جنابه ببلاغة رائعة، وقد أدّى إلى بعضها، كالمرض المهلك المسمّى بـ«كورونا» الذي شاع أخيرًا بين أهل العالم، فأهلك كثيرًا منهم حتّى في البلاد المتقدّمة التي لها سلطة كبيرة وجنود وأسلحة كثيرة؛

فإنّه تأويل قول هذا العبد الصالح: «أَيُّ سُلْطَةٍ تُنْجِيكُمْ وَأَيُّ جُنْدٍ وَسِلَاحٍ يَنْفَعُكُمْ، إِذَا شَاعَتْ بَيْنَكُمُ الْأَمْرَاضُ الْمُهْلِكَةُ؟!»، وقد قال ذلك قبل ظهور هذا المرض المهلك، فصدّق اللّه قوله ليكون آية لكلّ من سمعه من الناس لعلّهم يحذرون قبل أن يأتيهم تأويل بقيّة أقواله.

وأمّا لمعرفة ما جاء في صحف النبيّين من صفة الإمام المهديّ عليه السلام فراجع الموقع الإعلامي لمكتب المنصور الهاشميّ الخراسانيّ > قسم «الأسئلة والأجوبة» > السؤال والجواب ٤١٩، ولمعرفة ما جاء حوله في أخبار المحدّثين فراجع الصفحة ٢٤٨ من كتاب «العودة إلى الإسلام»، ولمعرفة كيفيّة التمهيد لحكومته فراجع الصفحة ٥٥ من كتاب «هندسة العدل».

الرسالة العشرون

جزء من رسالة جنابه يذكّر فيها بيوم القيامة ويحذّر من عاقبة الحرص على الدّنيا.

انْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ كَيْفَ يَتَنَاحَرُونَ وَيَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَنَالُوا زِيَادَةً؛ بِالْكِذْبِ وَالْخَدِيعَةِ، بِالْغِيبَةِ وَالْإِفْتِرَاءِ، بِالسَّبِّ وَالْإِسْتِخْفَافِ، بِالتَّمَلُّقِ وَالنِّفَاقِ، بِالْحَسَدِ وَالْخِيَانَةِ، بِالْإِسْتِئْثَارِ وَضِيقِ الْأُفُقِ، بِاللَّجَاجِ وَتَتَبُّعِ الْعَثْرَةِ، بِالنَّمِيمَةِ وَهَتْكِ السِّتْرِ، بِالْحِقْدِ وَقَطْعِ الرَّحِمِ؛ كَذِبَّانٍ يَخْتَصِمُونَ عَلَى أَنْ يَقْعُدُوا عَلَى بَعْرَةٍ! أَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُؤَجَّلُونَ حَتَّى يَنَالُوا كُلَّ مَا يُرِيدُونَ؟! يَقُولُونَ سَنَفْعَلُ فِي هَذَا الْعَامِ كَذَا وَفِي الْعَامِ اللَّاحِقِ كَذَا، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ أَيَكُونُونَ غَدًا أَحْيَاءً أَمْ أَمْوَاتًا، وَأَصِحَّاءَ أَمْ مَرْضَى، وَأَغْنِيَاءَ أَمْ فُقَرَاءَ، وَأَحْرَارًا أَمْ مَحْبُوسِينَ، وَآمِنِينَ أَمْ خَائِفِينَ! كَلَّا، بَلْ عُمْرُهُمْ أَقْصَرُ مِنْ آمَالِهِمْ، وَمَوْتُهُمْ أَقْرَبُ مِمَّا يَبْتَغُونَ؛ إِذَا فَاجَأَهُمُ الْحَادِثُ، وَأَخْرَجَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ، كَمَا يُخْرَجُ السَّفُّودُ مِنَ الشِّوَاءِ؛ فَحُمِلُوا عَلَى الْأَيْدِي، وَوُضِعُوا فِي الْقُبُورِ، وَتُرِكُوا فِي الضَّيِّقِ الْمُظْلِمِ وَحِيدِينَ، وَهُمْ يَرَوْنَ انْسِدَادَ الْمَنَافِذِ، وَيَسْمَعُونَ تَسَاقُطَ الْحِصَى، وَيُحِسُّونَ دَبِيبَ النَّمَالِ، وَلَا يَدْرُونَ أَيَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ مِنَ النِّسَاءِ الْعَوَاجِزِ وَالذُّرِّيَّةِ الضُّعَفَاءِ وَالدَّائِنِينَ الْمُسْتَعْجِلِينَ وَالْأَمْوَالِ الْمُفَرَّقَةِ وَالْأَمْلَاكِ الْمُعَطَّلَةِ، أَمْ يَخَافُونَ مِمَّا يَرِدُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَالَمِ الْمَجْهُولِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الْغَرِيبَةِ وَالْحُقُوقِ الْمُدْرِكَةِ وَالتَّكَالِيفِ الْمُفَوَّتَةِ وَالْحِسَابِ الشَّدِيدِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَفَزَعِ الْيَوْمِ الَّذِي تَضْطَرِبُ فِيهِ السَّمَاءُ، وَتَمُوجُ فِيهِ الْأَرْضُ،

وَتُظْلِمُ فِيهِ الشَّمْسُ، وَتَنْتَثِرُ فِيهِ النُّجُومُ، وَتَنْتَقِضُ فِيهِ الْجِبَالُ، وَتَغْلِي فِيهِ الْبِحَارُ، وَتُهْمَلُ فِيهِ الْأَمْوَالُ، وَيَقُومُ فِيهِ الْأَمْوَاتُ، وَيَجْفُلُ فِيهِ الْأَحْيَاءُ، وَتَبْلُغُ فِيهِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، فَلَا تَخْرُجُ لِتَقْضِيَ وَلَا تَعُودُ إِلَى مَكَانِهَا لِتُرِيحَ؛ الْيَوْمِ الَّذِي لَمْ يَرَ الْعَالَمُ مِثْلَهُ بَعْدَ النَّشْأَةِ؛ يَوْمٍ كَيَوْمِ النَّشْأَةِ، بَلْ أَفْزَعَ!

اعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ قَدِ اقْتَرَبَتْ وَأُطْلِقَتْ صَفَّارَتُهَا! عَمَّا قَرِيبٍ تَنْظُرُونَ إِلَى الْفَوْقِ فَلَا تَرَوْنَ السَّمَاءَ، وَتَنْظُرُونَ إِلَى التَّحْتِ فَلَا تَعْرِفُونَ الْأَرْضَ؛ حِينَ تَضْطَرِبُونَ اضْطِرَابَ خَشَبَةٍ فِي الْمَوْجِ، وَتَتَمَايَلُونَ تَمَايُلَ رِيشَةٍ فِي الرِّيحِ، وَلَا تَدْرُونَ أَلَيْلٌ أَمْ نَهَارٌ، وَرُقُودٌ أَمْ أَيْقَاظٌ، وَأَمْوَاتٌ أَمْ أَحْيَاءٌ؛ حِينَ تُسْقِطُ أُولَاتُ الْأَحْمَالِ حَمْلَهُنَّ، وَتَدَعُ الْمُرْضِعَاتُ مَا يُرْضِعْنَ، وَيُبَيِّضُ الْأَطْفَالُ الصِّغَارُ شَعْرًا، وَتُمْلَأُ قُلُوبُ الشُّجْعَانِ رُعْبًا، وَيَرْجِعُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى أَصْلِهِ، وَلَا يُبَالِي أَحَدٌ إِلَّا بِنَفْسِهِ؛ حِينَئِذٍ تُنَبَّؤُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَتُجْزَوْنَ بِهِ كَامِلًا؛ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِمَنِ اخْتَارَهُ اللَّهُ وَنَصَرْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فَسَيَكُونُ لَكُمُ الْأَمْنُ؛ فَقَدْ عَمِلْتُمْ خَيْرَ الْعَمَلِ، وَإِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِمَنِ اخْتَارَهُ الْآخَرُونَ وَنَصَرْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فَسَيَكُونُ لَكُمُ الْوَيْلُ؛ فَقَدْ عَمِلْتُمْ شَرَّ الْعَمَلِ؛ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ الظَّالِمِينَ أَنْ سَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمٌ عَسِيرٌ، وَسَيُلْقَوْنَ فِي وَادٍ مُمْتَلِئٍ نَارًا وَدُخَانًا؛ الْوَادِ الَّذِي عُمْقُهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ الْمَاءُ الْحَمِيمُ وَالْحَجَرُ الْمُلْتَهِبُ.

الرسالة الحادية والعشرون

رسالة من جنابه في أحكام صلاة الميّت

أخبرنا الحسن بن محمّدصادق الإصفهانيّ، قال: مات رجل من أهل بيتي، فكتبتُ إلى المنصور أسأله عن الصّلاة على الميّت، فكتب لي:

السُّنَّةُ فِيهَا خَمْسُ تَكْبِيرَاتٍ، وَلَوْ نَقَصْتَ وَاحِدَةً أَوْ زِدْتَ فَلَا بَأْسَ، وَلَيْسَ فِيهَا دُعَاءٌ مُوَقَّتٌ، فَتَقُومُ بِحِذَائِهِ مُسْتَقْبِلًا لِلْقِبْلَةِ، فَتُكَبِّرُ فَتَقُولُ:

بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

ثُمَّ تُكَبِّرُ فَتَقُولُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

ثُمَّ تُكَبِّرُ فَتَقُولُ:

رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ.

ثُمَّ تُكَبِّرُ فَتَقُولُ:

اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، تَوَفَّيْتَهُ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، فَارْحَمْهُ وَلَا تُعَذِّبْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْتَ كَمَا قُلْتَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ، فَاغْفِرْ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَتَقَبَّلْ مِنْهُ حَسَنَاتِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَنْصَرِفُ.

الرسالة الثانية والعشرون

جزء من رسالة جنابه يصف فيها أحوال النّاس، ويحذّرهم من عاقبة أمرهم.

قَدْ نَسِيتُمُ الْآخِرَةَ، وَغَرِقْتُمْ فِي الْهَائِجِ مِنْ بَحْرِ الدُّنْيَا. قَدْ أَلْهَاكُمْ هُمُومُ الْمَعَاشِ، وَمَسَخَكُمْ سِحْرُ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ. لَمْ تَعُودُوا تَهْتَمُّونَ بِشَيْءٍ غَيْرِ بُطُونِكُمْ، وَلَا تَحْزَنُونَ عَلَى دِينِكُمْ؛ الدِّينِ الَّذِي لَا تَعْلَمُونَ عَقَائِدَهُ، وَلَا تَفْقَهُونَ أَحْكَامَهُ. تُجَالِسُونَ الْجَهْلَ، وَتُجَاوِرُونَ الْغَفْلَةَ. تُقَلِّدُونَ شُيُوخَكُمْ، وَلَا تَسْتَخْدِمُونَ عُقُولَكُمْ. كُلَّ يَوْمٍ تَطَؤُونَ عَقِبَ رَجُلٍ، وَتَتَّخِذُونَ لِأَنْفُسِكُمْ لُعْبَةً. مُسْلِمُونَ بِلَا إِسْلَامٍ، وَمُؤْمِنُونَ بِلَا إِيمَانٍ! لَمْ تَعُودُوا تَشْتَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا تَخَافُونَ النَّارَ. قَدْ طَالَتْ آمَالُكُمْ، وَقَصُرَتْ أَعْمَارُكُمْ. قَدْ وَهَنَ اعْتِقَادُكُمْ، وَتَضَاءَلَتْ تَقْوَاكُمْ. قَدْ رَذُلَتْ أَخْلَاقُكُمْ، وَكَثُرَتْ آثَامُكُمْ. قَدْ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، وَضَاقَتْ صُدُورُكُمْ. قَدْ ذَهَبَ الصِّدْقُ مِنْ حَيَاتِكُمْ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الْكِذْبُ. قَدْ قَامَتْ عَنْكُمُ الْمَوَدَّةُ، وَقَعَدَ مَقْعَدَهَا الْبَغْضَاءُ. لَا يُوَقِّرُ صَغِيرُكُمْ كَبِيرَكُمْ، وَلَا يَرْحَمُ كَبِيرُكُمْ صَغِيرَكُمْ. قَدْ فَارَقَتْ حَيَاتَكُمُ الْبَرَكَةُ، وَضَحَلَتْ أَنْهَارُكُمُ الْجَارِيَةُ. قَدْ أَمْسَكَتِ السَّمَاءُ عَنْكُمْ، وَخَسَّتْ مَحَاصِيلُ أَرْضِكُمْ. قَدْ تَعَوَّدْتُمْ عَلَى حَالَتِكُمُ الرَّهِيبَةِ، وَلَا تَشْعُرُونَ بِالْمَرَضِ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

فَالْآنَ انْتَبِهُوا بِصَوْتِي حِينَمَا أَصِيحُ عَلَيْكُمْ، وَعُودُوا إِلَى رُشْدِكُمْ حِينَمَا أَمُسُّكُمْ بِعَصَايَ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ هَذِهِ الْغَفْلَةَ وَالْجَهَالَةَ سَتَجْتَاحُ حَيَاتَكُمْ، وَتُحَوِّلُ يَوْمَكُمْ إِلَى لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، كَحَرِيقٍ مُشْتَعِلٍ تُزَمْجِرُ أَلْسِنَتُهُ، وَيَحْبِسُ دُخَانُهُ أَنْفَاسَكُمْ.

الرسالة الثالثة والعشرون

جزء من رسالة جنابه إلى بعض أصحابه، يعظه فيها ويخوّفه من اللّه.

لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ فَلَا ظُلْمَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُدِيرُ دَوْرَةَ الْحَيَاةِ. هُوَ الشَّارِعُ وَالْحَاكِمُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُ. لَا تَسْأَلْ حَاجَتَكَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا تَحْلِفْ إِلَّا بِاسْمِهِ. لَا تَسْتَغِثْ بِغَائِبٍ، وَلَا تَعْقِدْ عَلَى قَبْرٍ. لَا تَتَوَسَّلْ بِشَجَرٍ، وَلَا تَسْتَعِذْ بِحَجَرٍ.

لَا تُطِعْ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، أَعْنِي مَنْ سَمَّاهُ اللَّهُ. إِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ، وَلَسْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى غَيْرِهِ. احْذَرْهُ، وَاحْتَطْ؛ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِكَ. اسْلُكْ بَيْنَ يَدَيْهِ سُلُوكًا حَسَنًا، لِكَيْ لَا يَغْضِبَ عَلَيْكَ، فَيَضْرِبَكَ، فَتُلْقَى فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ. ابْتَغِ رِضْوَانَهُ، لِيَلْطُفَ بِكَ، وَيُوصِلَكَ إِلَى مَا تُرِيدُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اتَّخَذَ أَحَدًا وَلِيًّا آتَاهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَإِذَا اتَّخَذَهُ عَدُوًّا فَلَا تَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِهِ!

اتَّقِ اللَّهَ لِتَزْكُوَ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى مِنْهُ كَمَاءٍ سَاخِنٍ، يُزِيلُ الْوَسَخَ، وَيُذْهِبُ الْبُقْعَةَ. اعْتَقِدْهُ حَاضِرًا فِي الْخَلْوَةِ وَنَاظِرًا فِي الظُّلْمَةِ، لِكَيْ لَا تُغِرَّكَ الظُّلْمَةُ، وَلَا تُجَرِّئَكَ الْخَلْوَةُ. إِنَّهُ الْقَاضِي، وَالشَّاهِدُ، وَالْمُدَّعِي، وَآخِذُ الْمُجْرِمِ، وَمُعَاقِبُهُ. فَهَلِ الْمُجْرِمُ لَا يُبَالِي بِالشَّاهِدِ، وَلَا يَخَافُ مِنَ الْقَاضِي؟! إِنَّهُ يَعْلَمُ مَكْرَكَ حِينَ تَمْكُرُ، وَيَسْمَعُ نَجْوَاكَ حِينَ تُنَاجِي؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. أَفَلَا تَهْتَمُّ بِعِرْضِكَ، وَلَا تَسْتَحْيِي مِنَ الْحَاضِرِ وَالنَّاظِرِ؟!

مَاذَا تَفْعَلُ عِنْدَمَا يَأْتِي الْمَوْتُ، وَتَقُومُ السَّاعَةُ، وَيُوضَعُ الْمِيزَانُ، وَتُسْعَرُ الْجَحِيمُ؟! فَهَلْ يُنْجِيكَ الْمَالُ أَمِ الْإِيمَانُ، وَيَنْفَعُكَ الْمَنْصِبُ أَمِ التَّقْوَى؟! كُنْ مُؤْمِنًا لِتَعِيشَ، وَلَازِمِ التَّقْوَى لِتَسْعَدَ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ لَا إِيمَانَ لَهُمْ سَيَهْلِكُونَ، وَالَّذِينَ لَا تَقْوَى لَهُمْ سَيَشْقَوْنَ؛ كَالَّذِينَ قَدِ ارْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، فَيَقُولُونَ: «لَا إِلَهَ»، وَيَقُولُونَ: «مَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؟!»، وَيَسْخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ نَسُوا أَيَّامَ اللَّهِ، وَتَجَاهَلُوا آيَاتِهِ، وَفَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ تَرَكُوا عُقُولَهُمْ وَيَعِيشُونَ عِيشَةَ الْبَهَائِمِ؛ أَوْ كَالَّذِينَ قَدْ وَهَنُوا فِي دِينِهِمْ، فَلَا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَلَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَلَا يَصُومُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَيَأْكُلُونَ الرِّبَا، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهْوَةَ، وَيَخُوضُونَ الْبَاطِلَ، لِيُنَجِّسُوا الْأَرْضَ بِالْفُجُورِ وَيَمْلَؤُوهَا بِالْفِسْقِ، لِتَزُولَ عَنْهَا الْبَرَكَةُ، وَيَنْزِلَ عَلَيْهَا الْبَلَاءُ، وَلَا يَكُونَ مُنْقِذٌ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، بَلْ أَمْسِكْ إِيمَانَكَ وَإِنْ هَبَّ الْكُفْرُ كَإِعْصَارٍ، وَلَا يَهِنَ تَقْوَاكَ وَإِنْ هَزَّ الْإِثْمُ كَزِلْزَالٍ؛ لِأَنَّ الصَّابِرِينَ هُمْ أَوْتَادُ الْأَرْضِ، أَوْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ. بِيُمْنِهِمْ تُنَزَّلُ النِّعْمَةُ، وَيُؤَخَّرُ الْعَذَابُ.

الرسالة الرابعة والعشرون

جزء من رسالة جنابه في توبيخ الذين يرونه يدعو إلى الحقّ ولا يقومون بنصره.

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! وَيَا أَيُّهَا السِّفْلَةُ الْعَائِشُونَ فِي تَرَفٍ وَدَلَالٍ! أَسْمَاؤُكُمْ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ، وَأَخْلَاقُكُمْ أَخْلَاقُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ! هَيْئَاتُكُمْ هَيْئَاتُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَادَاتُكُمْ عَادَاتُ الْكَافِرِينَ! تَعْلَمُونَ وَلَا تَعْمَلُونَ، وَتَقْدِرُونَ وَلَا تَنْصُرُونَ! فِي الْقَوْلِ مُزَخْرَفُونَ، وَفِي الْفِعْلِ مُثْقَلُونَ! نِشَاطٌ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَوُهْنٌ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ! لَوْ كُنْتُمْ سِهَامًا لَكُنْتُمْ سِهَامًا مُنْكَسِرَةً، وَلَوْ كُنْتُمْ سَلَاسِلَ لَكُنْتُمْ سَلَاسِلَ مُنْفَصِلَةً! لَا الْحَقَّ تَلْحَقُونَ، وَلَا الْبَاطِلَ تَعْتَزِلُونَ! سُحُبٌ كِبَارٌ لَا يَمْطُرُونَ، وَبُذُورٌ كِثَارٌ لَا يَنْبُتُونَ! مَا أَنْتُمْ غَيْرَ أَوْغَادٍ أَدْنِيَاءَ، كَأَمْثَالِ الْمُتَسَكِّعِينَ السُّكَارَى؟! الْبَائِسُ مَنِ اعْتَمَدَ عَلَيْكُمْ، وَالسَّعِيدُ مَنْ تَخَلَّصَ مِنْكُمْ!

صَاحِبُكُمْ يُخْبِرُ عَنْ فَعْلَتِكُمْ: عَرَفْتُمُ الْحَقَّ فَخَذَلْتُمُوهُ، فَوَجَدْتُمُ الْكَنْزَ فَطَرَحْتُمُوهُ! فَهَلْ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَلَهَّيْتُمْ بِهَذَا اللَّعِبِ الْأَدْنَى؟! وَمَا الدُّنْيَا إِلَّا دَارُ الْغُرُورِ، وَمَوْضِعُ الْعُبُورِ. عَمِيَ مَنْ لَمْ يُبْصِرِ الْحَقَّ، وَبَعُدَ مَنِ اعْتَزَلَ الْحَقَّ! ...

أَلَيْسَ فِيكُمْ أَهْلُ وَفَاءٍ، وَلَا يَنْتَهِي مِنْكُمْ هَذَا الْجَفَاءُ؟! مَا دَاؤُكُمْ؟! وَمَا دَوَاؤُكُمْ؟! مِنْ أَيِّ خَمْرٍ سَكِرْتُمْ؟! وَفِي أَيِّ فَخٍّ وَقَعْتُمْ؟! وَيْلٌ لَكُمْ، وَآهٍ مِنْكُمْ! فَقَدْ ضَيَّقْتُمْ صَدْرِي، وَجَرَحْتُمْ قَلْبِي، وَأَغْلَقْتُمْ يَدِي، وَأَنْتُمْ تَضْحَكُونَ!

تَعْسًا لَكُمْ! مَاذَا تُجِيبُونَ حِينَ تُسْأَلُونَ، أَنْ تَجِدُونَنِي مَهْدِيًّا فَلَا تَنْصُرُونَ؟! مَاذَا تَبْتَغُونَ، وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟! مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟! أَأَنْتُمْ نَائِمُونَ؟! أَلَيْسَ لَكُمْ آذَانٌ تَسْمَعُونَ بِهَا، أَمْ أَحْلَامٌ تَفْقَهُونَ بِهَا؟! تَرَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ مَهْجُورًا، وَخَلِيفَتَهُ مَقْهُورًا، وَالْأَرْضَ قَدْ مُلِئَتْ جَوْرًا، أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ؟!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! كُدُّوا لِلْحَقِّ، وَرُدُّوا الْبَاطِلَ!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَجِيبُوا دَعْوَتِي، وَادْعُمُوا نَهْضَتِي!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! لَا تَهْرَبُوا مِنَ الْحَقِّ، وَلَا تُشَاقُّوا أَهْلَهُ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! تَهَيَّؤُوا لِلْجِهَادِ، وَاجْتَهِدُوا لِلْمَعَادِ، وَكُفُّوا عَنِ الْعِنَادِ!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! انْصُرُوا دِينَ اللَّهِ، وَاحْفَظُوا خَلِيفَتَهُ!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! احْتَمُوا لِلَّهِ، وَثُورُوا عَلَى أَعْدَائِهِ!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! تَزَكَّوا، أَوْ مُوتُوا!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! اخْضَعُوا لِلْمَوْتِ، وَلَا تَخْضَعُوا لِلْعَارِ!

لِلَّهِ أَنْتُمْ! جَاهِدُوا بِأَنْفُسِكُمْ فِي الْحَقِّ، لِتَسُودُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!

مَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُنِي؟

شرح الرسالة:

من أراد نصر هذا المجدّد للدّين الخالص والممهّد لخليفة اللّه المهديّ ابتغاء مرضات اللّه، فليملأ استمارة العضويّة الفعّالة في الموقع الإعلامي لمكتبه، ثمّ ليتّصل بسائر أنصاره المؤمنين، ليرشدوه إلى واجبه، ويشركوه في أعمالهم الصالحة إن شاء اللّه.

الرسالة الخامسة والعشرون

جزء من رسالة جنابه إلى بعض أصحابه يعظه فيها ويحذّره من الجليس السوء.

إِنْ كُنْتَ ذَكِيًّا فَاتَّقِ اللَّهَ؛ فَإِنَّمَا لَا يَتَّقِيهِ الْأَحْمَقُ. اعْرِفْ دِينَهُ، وَامْشِ بِهِ، لِتَكُونَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. لَا تَقْرَبَنَّ حِمَاهُ، وَلَا تَعْتَدِيَنَّ حُدُودَهُ، لِئَلَّا يُعْدِمَكَ. إِذَا فُتِحَ بَابُ الْمَعْصِيَةِ وَنُشِرَ فِرَاشُهَا، فَاذْكُرْهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَارْجِعْ عَنِ الطَّرِيقِ. افْتَحْ عَيْنَيْكَ حَتَّى تَرَى أَنَّ مَكَانَ الْمَعْصِيَةِ أَقْذَرُ مِنَ الْمِرْحَاضِ. فَاتْرُكْهُ وَاذْهَبْ، وَإِنْ قَالَ لَكَ جَلِيسُكَ: «أَيْنَ تَذْهَبُ؟» فَقُلْ: «إِلَى الْعَافِيَةِ»! كَمْ مِنْ لَذَّةٍ قَصِيرَةٍ أَدَّتْ إِلَى حَسْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَكَمْ مِنْ شَهْوَةٍ زَائِلَةٍ أَعْقَبَتْ كَرَاهَةً خَالِدَةً! إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنْ جَلِيسِكَ فَتَأْتِيَ مَعْصِيَةً، وَلَا تَسْتَحْيِيَ مِنْ رَبِّكَ فَتَتْرُكَهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَفَاهَةٌ! أَتُطْلِي نَفْسَكَ بِالدُّهْنِ فَتُحْرِقُهَا لِيَرَى جَلِيسُكَ فَيُصَدِّي؟! أَتُلْقِي نَفْسَكَ فِي الْهَاوِيَةِ لِكَيْ لَا يَقُولَ خَافَ وَلَمْ يَقْدِرْ؟!

إِذَا قَالَ لَكَ: «تَعَالَ لِنَقْعُدَ لِفُلَانٍ، فَنَسْفِكَ دَمَهُ؛ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيَّ، وَحَانَ وَقْتُ الْإِنْتِقَامِ»، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُصَاحِبْهُ؛ عَسَى أَنْ تُشَارِكَ فِي قَتْلِ بَرِيءٍ، فَتُصْبِحَ مَلْعُونًا إِلَى الْأَبَدِ، وَإِذَا قَالَ لَكَ: «تَعَالَ لِنَأْخُذَ امْرَأَةً مِنَ الطَّرِيقِ، فَنُبَاشِرَهَا؛ فَإِنَّ لِي مَالًا كَثِيرًا وَسِكِّينًا شَحِيذًا»، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُصَاحِبْهُ؛ عَسَى أَنْ تُشِيعَ الْفَاحِشَةَ فِي الْأَرْضِ، فَتُنْزِلَ الْبَلَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِذَا قَالَ لَكَ: «تَعَالَ لِنَتَسَوَّرَ بَيْتَ الْجَارِ، وَنَسْرِقَ مَالَهُ؛ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى سَفَرٍ، وَالْجِدَارُ قَصِيرٌ»، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُصَاحِبْهُ؛

عَسَى أَنْ تَجْعَلَ الْمَدِينَةَ غَيْرَ آمِنَةٍ، وَتُخَرِّبَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، وَإِذَا قَالَ لَكَ: «تَعَالَ لِنَشْرَبَ وَنَتَمَتَّعَ لَيْلَةً؛ فَإِنَّ عِنْدِي خَمْرًا جَيِّدًا»، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُصَاحِبْهُ؛ عَسَى أَنْ تَتَنَجَّسَ، وَتَأْخُذَ فِي الْعَرْبَدَةِ وَالْإِيذَاءِ، وَإِذَا قَالَ لَكَ: «تَعَالَ لِنَتَعَاطَى الْحَشِيشَ وَنَسْتَعْمِلَ الْمُخَدِّرَ؛ فَإِنَّهُ يُخَفِّفُ الرَّأْسَ، وَيَذْهَبُ بِالْهَمِّ وَالْغَمِّ»، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُصَاحِبْهُ؛ عَسَى أَنْ تُدْمِنَ، وَتَبِيعَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِالدُّخَانِ!

فِرَّ مِنَ الْجَلِيسِ السَّيِّءِ؛ فَإِنَّهُ سَيُشْقِيكَ. تَنْدَلِعُ مِنْ فَمِهِ النَّارُ، وَخُطُوَاتُهُ إِلَى الْهَاوِيَةِ. يُزَيِّنُ لَكَ الْقَبِيحَ، وَيُسَهِّلُ لَكَ الْمَعْصِيَةَ. يَصُدُّ عَنِ الْبِرِّ، وَيَضْحَكُ مِنَ التَّقْوَى. اطْرُدْهُ، كَمَا تَطْرُدُ الْكَلْبَ الْعَاقِرَ. أَتَتْرُكُهُ حَتَّى يَعِضَّكَ؟! اطْلُبْ لِنَفْسِكَ جَلِيسًا صَالِحًا يَأْمُرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاكَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِلَّا فَاصْبِرْ عَلَى الْوَحْدَةِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ مُجَالَسَةِ طَالِحٍ.

طُوبَى لِمَنْ تَنْفَعُهُ الْمَوْعِظَةُ؛ فَإِنَّهُ سَيَنْجُو، وَإِنْ كَانَ مُعَلَّقًا مِنْ وَادٍ سَحِيقٍ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَنْفِرُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ؛ فَإِنَّهُ سَيَهْلِكُ، وَإِنْ كَانَ قَائِمًا عَلَى أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ.

الرسالة السادسة والعشرون

جزء من رسالة جنابه فيها ينذر باشتداد البلاء، ويبيّن سببه وطريقة منعه.

تَحْتَرِقُ الدُّنْيَا فِي حَرِيقِ الْبَلَاءِ، وَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ! يَقُولُونَ: مَا سَبَبُ هَذَا الْوَبَاءِ؟! وَهَذَا الْجَفَافِ وَالْحَرِّ الْقَاتِلِ؟! وَهَذِهِ السُّيُولِ وَالزَّلَازِلِ الْمُتَتَالِيَةِ؟! وَهَذَا الْفَقْرِ وَغَلَاءِ الْأَسْعَارِ؟! وَهَذَا الْخَوْفِ وَالْإِضْطِرَابِ الْعَامِّ؟! هَلْ هُوَ خَطَأُ إِنْسَانٍ، أَمْ مُؤَامَرَةٌ، أَمْ حَدَثٌ طَبِيعِيٌّ؟! هُوَ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ! وَقَدْ تَسَبَّبَ عَنْ عَقَائِدِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ!

أَحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ إِنْ تَكْفُرُوا، وَتُعْرِضُوا عَنِ اللَّهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَتَتَّخِذُوا حُكَّامًا مِنْ دُونِهِ، لَنْ يَنَالَكُمْ مَكْرُوهٌ؟![1] أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ إِنْ تَظْلِمُوا، وَتَسْفِكُوا الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَتَغْرِقُوا فِي أَكْلِ الرِّبَا وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، وَتَزِيدُوا ذَنْبًا عَلَى ذَنْبٍ، لَنْ تَكُونَ لَهُ تَبِعَةٌ؟! كَلَّا! ثُمَّ كَلَّا! بَلْ سَيُصْبِحُ كُفْرُكُمْ نَارًا تُحْرِقُكُمْ، وَذُنُوبُكُمْ إِعْصَارًا يُذْهِبُكُمْ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فِي الْمَغَارَاتِ وَشُقُوقِ الصُّخُورِ وَالْمَنَاطِقِ النَّائِيَةِ! فَهَلْ تَسْتَبْعِدُونَ ذَلِكَ، أَمْ تَحْسَبُونَهُ غَيْرَ مُمْكِنٍ؟! كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَذَّبُوا بِإِنْذَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وَاتَّخَذُوهُ هُزُوًا،

---

١ . يعني بخليفة اللّه في الأرض الإمام المهديّ عليه السلام. راجع: كتاب «هندسة العدل».

وَقَالُوا: ﴿مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١]، حَتَّى جَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْضِهِمْ أَثَرٌ، وَبَقِيَتْ مِنْ بَعْضِهِمْ خِرْبَةٌ يَسْكُنُهَا الْبُومُ وَالسَّبُعُ! لَا رَيْبَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَرْقَهُ وَسَمِعُوا رَعْدَهُ عَلِمُوا أَنَّ إِنْذَارَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ حَقًّا، وَلَكِنْ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، إِذْ لَمْ تَكُنْ فُرْصَةٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ.

أَنْتُمُ الْآنَ قَدْ خَلَفْتُمُوهُمْ، وَسَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ مَسْكَنَهُمْ مَرَّةً، وَلَا تَزَالُ لَدَيْكُمْ فُرْصَةٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِصْلَاحِ، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّكُمْ قَدْ نَسِيتُمْ عَاقِبَتَهُمْ؛ لِأَنَّكُمْ تَفْعَلُونَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَعِنْدَمَا أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، تُكَذِّبُونَ بِإِنْذَارِي وَتَتَّخِذُونَهُ هُزُوًا، كَمَا هُمْ كَذَّبُوا بِإِنْذَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَاتَّخَذُوهُ هُزُوًا، وَتَقُولُونَ: ﴿مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، كَمَا هُمْ قَالُوا! فَهَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ عَاقِبَتِهِمْ؟! لِمَاذَا؟! أَتَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَبَدَّلَتْ سُنَّتُهُ، أَوْ زَالَتْ قُدْرَتُهُ؟! أَمْ آتَاكُمْ أَمَانًا غَيْرَ مَشْرُوطٍ؟! أَمْ لَدَيْهِ قَرَابَةٌ مِنْكُمْ؟! أَمْ لَا يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ؟! أَمْ لَا قِبَلَ لَهُ بِآلَاتِكُمْ وَأَسْلِحَتِكُمُ الْحَدِيثَةِ؟! أَمْ تُهِمُّهُ كَثْرَةُ عَدَدِكُمْ وَسَعَةُ بِلَادِكُمْ؟! كَلَّا، بَلْ هُوَ الْآنَ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ، وَأَنْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلُ سَوَاءٌ عِنْدَهُ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَشُقُّونَ الذَّرَّةَ، وَتَصْعَدُونَ فِي السَّمَاءِ، وَتَبْنُونَ بُرُوجًا شَاهِقَةً! أَلَسْتُمْ جُلُودًا وَلُحُومًا وَعِظَامًا، وَلَيْسَتْ لَكُمْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ؟!

فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَجَرَّؤُوا عَلَيْهِ، وَلَا تَحْمِلُوا حِلْمَهُ عَلَى الْغَفْلَةِ أَوِ الْعَجْزِ أَوِ الرِّضَى، وَلَا تُسْخِطُوهُ بِالْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ! أَتُرِيدُونَ أَنْ يُمْطِرَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ حِجَارَةً، أَوْ نَارًا تُحْرِقُكُمْ؟! أَوْ يَزِيدَ الْحَرَّ حَتَّى تُطْبَخُوا، أَوِ الْقَرَّ حَتَّى تَجْمُدُوا؟! أَوْ يَرْفَعَ سُطُوحَ الْبِحَارِ حَتَّى تُغَطِّيَ مُدُنَكُمْ؟! أَوْ يُثِيرَ عَلَيْكُمُ الْغُبَارَ الْغَلِيظَ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعُوا التَّنَفُّسَ؟! أَوْ يَبْلُغَ بِالْجَفَافِ مَبْلَغًا تَأْكُلُونَ فِيهِ الْكَلْبَ وَالسِّنَّوْرَ؟! أَوْ يَنْشُرَ بَيْنَكُمْ أَمْرَاضًا أَكْثَرَ فَتْكًا حَتَّى تَلْتَقِطُوا أَجْثَاثَكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْبَرٍ؟!

---

١. الشّعراء/ ١٣٨

أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَتَّى يُذَبِّحُوا رِجَالَكُمْ وَيَسْتَرِقُّوا نِسَاءَكُمْ؟! أَوْ يُنْزِلَ عَلَيْكُمْ بَلَاءً آخَرَ أَنْتُمْ عَنْ تَصَوُّرِهِ عَاجِزُونَ؟!

وَيْلَكُمْ! مَا أَجْرَأَكُمْ! أَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُخَوِّفُكُمْ وَيُعِيدُكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟! هَبُوا أَنَّكُمْ قَدْ تَبَرَّأْتُمْ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَاخْتَرْتُمُ الْحَيَوَانِيَّةَ؛ أَلَيْسَ الْحَيَوَانُ يَخَافُ صَاحِبَهُ وَيَعْرِفُ طَرِيقَ مَرْبِضِهِ؟! أَفَأَصْبَحْتُمْ أَحْجَارًا وَلَا تَعُودُونَ تُحِسُّونَ؟! إِنْ كُنْتُمْ لَا تُبَالُونَ بِمَا يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ، فَارْحَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَوْلَادَ أَوْلَادِكُمْ إِلَى الْبَطْنِ السَّابِعِ؛ فَإِنَّهُمْ سَيُغْرَمُونَ مَا فَوَّتُّمْ بِعَقَائِدِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ! أَفَلَا تُبَالُونَ بِمَا سَيَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ؟! وَهُمْ سَيَدْعُونَ عَلَيْكُمْ وَيَقُولُونَ: «لَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ! فَقَدْ أَشْقَوْنَا بِسَفَاهَتِهِمْ»! فَسَيُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُمْ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ أَلْقَيْتُمُوهُمْ فِي مَهْلَكَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا حَتَّى الْبَطْنِ السَّابِعِ!...

قَاتَلَكُمُ اللَّهُ! كَأَنَّكُمْ قَدْ صَمِمْتُمْ، فَلَا تَسْمَعُونَ قَوْلِي! أَوْ سَكِرْتُمْ، فَلَا تَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ! لِمَ لَا تَتَفَاعَلُونَ؟! أَفَأَمْوَاتٌ أَنْتُمْ؟! أَمْ أَصَابَتْكُمْ صَاعِقَةٌ، فَتَجَمَّدْتُمْ؟! مَاذَا فَعَلْتُمْ، فَتَعِبْتُمْ وَسَئِمْتُمْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟! مَاذَا أَكَلْتُمْ، فَذَبُلْتُمْ[1] وَأَصْبَحْتُمْ وَاهِنِينَ وَغَيْرَ مُبَالِينَ؟! مَعَ أَنَّ الْحُمُرَ تَأْكُلُ الْقَشَّ وَتَحْمِلُ الْأَثْقَالَ وَيَخْتَرِقُ صَوْتُهَا الْمَسَامِعَ! قَدْ أَشْعَلْتُمُ النَّارَ فِي الدُّنْيَا وَقَعَدْتُمْ تَنْظُرُونَ! قَدْ سَلَّطْتُمُ الظَّالِمِينَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيَفْعَلُونَ بِكُمْ مَا يَشَاءُونَ، وَلَكِنْ لَا تُحَرِّكُونَ جَارِحَةً! إِنَّمَا تَتَأَوَّهُونَ وَتَتَذَمَّرُونَ[2] فِي الْخَلَوَاتِ، كَأَنَّكُمْ بَنَاتٌ أَوْ عَجَائِزُ! أَلَا غَيْرَةَ لَكُمْ أَنْ أَدْخَلُوا صَوْلَجَ الظُّلْمِ فِي إِزَارِكُمْ، فَلَا تَقُولُونَ غَيْرَ «آخ»؟! لِمَاذَا تَرْضَوْنَ بِهَذِهِ الذِّلَّةِ، وَتَصْبِرُونَ عَلَى هَذَا الْحَرَجِ الْمُتَزَايِدِ؟!

١. ذَبُلَ الإنسان أي ضمر وضعف وفقد نشاطه وحيويّته.
٢. تذمّر من الأوضاع السيّئة أي تشكّى وتوجّع وعبّر عن استيائه وعدم رضاه.

لِمَاذَا لَا تَأْخُذُونَ حَقَّكُمْ، وَلَا تُطْفِئُونَ الْفِتْنَةَ؟! لِمَاذَا لَا تُرَافِقُونَنِي حَتَّى نُطِيحَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارَ[١]، وَنُقِيمَ مَقَامَهُمْ مَنِ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِيَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا؟! لِمَاذَا لَا تَنْصُرُونَنِي حَتَّى نَنْزِعَ زِمَامَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ، وَنُسَلِّمَهُ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ؟![٢] أَلَا تُحِبُّونَ الْعَدْلَ، وَلَا تَرْغَبُونَ فِي السَّعَادَةِ؟! وَالْعَدْلُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَأَجْمَلُ مِنَ الْأَضَالِيَةِ[٣]، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ! أَمْ تَخَافُونَ أَنْ يَأْخُذُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ؟! وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ فِي الذُّلِّ تَحْتَ ظِلَالِ الظَّالِمِينَ، إِنْ كُنْتُمْ تَتَفَكَّرُونَ! أَمْ تَنْظُرُونَ إِلَى عُلَمَائِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ قَدْ سَايَرُوهُمْ وَسَكَتُوا أَمَامَ ظُلْمِهِمْ؟! وَإِنَّمَا عُلَمَاؤُكُمْ وَكُبَرَاؤُكُمْ هَؤُلَاءِ حُفْنَةٌ مِنَ السَّفْلَةِ الْخَانَةِ، وَلَهُمْ قَبْوٌ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ[٤]؛ لِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَشَرَوْا جَنَّةَ الْخُلْدِ بِصِيتٍ أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ! أَمْ قَدْ يَئِسْتُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَظَنَنْتُمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ؟! مَعَ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تَنْقَطِعُ، وَالْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ خَلِيفَتِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ غَافِلُونَ!

فَالْآنَ اسْمَعُوا نِدَائِي وَأَجِيبُوا دَعْوَتِي، قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكُمُ الْأَوَانُ، وَيَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ أَتَى أَمْثَالَكُمْ مِنْ قَبْلُ، فَتُؤْخَذُوا مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ، كَمَا أُخِذُوا، وَتُقْذَفُوا فِي نَارٍ حَامِيَةٍ تَأْكُلُ اللَّحْمَ وَتُسَوِّدُ الْعَظْمَ، بَعْدَ مَوْتٍ مُرْعِبٍ وَقَبْرٍ مُظْلِمٍ فِيهِ ضَغْطٌ كَضَغْطِ الْمِكْبَسِ[٥].

---

١ . يعني الحكّام المختلفين.

٢ . يعني الإمام المهديّ عليه السلام، وهو حيّ. راجع: الموقع الإعلامي لمكتب المنصور الهاشميّ الخراسانيّ > قسم «الأسئلة والأجوبة» > السؤال والجواب ٦.

٣ . زهرة جميلة للغاية، لها بتلات كثيرة، وألوان مختلفة، وقد تسمّى «داليا».

٤ . القبو مخزن تحت الأرض.

٥ . «الْمِكْبَسُ» اسم آلة من كبَسَ: كبّاس؛ عصّارة؛ آلة ضاغطة مختلفة الأشكال والأحجام تستعمل للكبس أو العصر.

يَا مَعْشَرَ الْعُقَلَاءِ! يَا إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِيَ الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ لِي مَعَكُمْ كَلِمَةً. فَهَلْ أَنْتُمْ تَسْتَمِعُونَ لَهَا وَتَعُونَ بِقُلُوبِكُمْ، أَمْ تَسُدُّونَ آذَانَكُمْ وَتَذْهَبُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ؟! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ عَدُوَّ الْإِنْسَانِ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا، لَقَرَأَهُ بِعِنَايَةٍ لِيَعْلَمَ مَاذَا كَتَبَ إِلَيْهِ عَدُوُّهُ، وَأَنَا لَكُمْ وَلِيٌّ مُشْفِقٌ وَأَخٌ نَاصِحٌ، وَأَنَا أَوْلَى بِأَنْ تَعْلَمُوا مَاذَا كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ. إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَنِي فَإِنِّي أَعْرِفُكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تُحِبُّونَنِي فَإِنِّي أُحِبُّكُمْ. فَاسْتَمِعُوا لِقَوْلِي، وَلَا تَسْأَلُوا مَنْ أَنَا؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ يُعْرَفُ بِقَوْلِهِ، وَالْحَكِيمُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْلِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى قَائِلِهِ.

(جزء من الرسالة الأولى)